تحسين كرمياني

حكايتي
مع رأس مقطوع

رواية

بعد حصولنا على مركبة خصوصية ، وضعنا أنا وزوجتي برنامجاً ترفيهياً كي ندفن ضيم سنوات الجوع ، قررنا في نهاية كل شهر بعدما تمتلئ جيوبنا بالمعاش ، أن نستمتع بسفرة سياحية قصيرة ، كي نكنس أوضار الواقع المتراكم فينا ، ومن جهة أخرى نستكمل نواقص بيتنا من حاجيات رديئة تهبط إلى أسواقنا ، معظمها كماليات ، وغالباً ما كانت زوجتي تملأ حوض المركبة الخلفية بالألعاب ودمى الأطفال والمنمنمات النازفة للنقود ، فهي تمتلك ولعاً قديماً بتبديل أماكن الموجودات والديكورات كل أسبوع ، مما يسهل عملية تدميرها مبكراً وتوفير فرصة حاسمة لمزاجها المتذبذب بتبديل الأثاث .

فهي كلما تسمع هبوط أشياء جديدة إلى الأسواق عبر ألسنة زميلاتها ، دم جسدها ينتفض ، يضيق أفق فكرها ، تفقد تركيزها ، تتحرق شوقاً لمجيء نهاية الشهر كي تستلم راتبها وتهرع لشراء تلك الأشياء الجديدة ، كي تبز زميلاتها في العمل من جهة ، ومن جهة أخرى تخمد نيران فضولها .

زوجتي لها طبيعة إلقاء الأشياء القديمة إلى القمامة ، مهما كانت درجة فائدتها ، كثيرة هي الموجودات التي رمتها ، كانت

سليمة ، بإمكانها أن تصمد لسنوات أخر أمام زحف الموضات المتلاحقة .

تلك الطبيعة لفتت انتباه صبيان الزقاق ، راحوا يقفون لها بالمرصاد ، وتوصلوا إلى نتيجة محسومة ، ضبطوا ميقات تطعيمها (قمامة الزقاق) بأشياء منزلية ثمينة ، يحملونها ليبيعوها في سوق (السبت) .

يترقبونها نهاية كل شهر ، وكلما كانت تسحل كيساً مملوءً بأشياء نافعة ، تحدث مشاحنات وعراك بينهم ، قبل أن تتدخل هي وتجد لهم الحل المرضي أمام حشد من أهل الزقاق ، تفتح الكيس وتوزع ما فيه عليهم وفق مزاجها ، وتعود بوجه ضاحك ممتلئة حبوراً كأنها عاشت ليلة زفافها .

لم تنفع جهودي الحثيثة لتغيير استراتيجية عقلها ، الأمر الذي دفعني أن أحل حبل غاربها على هوى مزاجها ، متوقعاً أن بصيص أمل ضعيف سيلوح في لوح المستقبل القريب ، كي أتحرر من كابوس مرضها ، لكن أيامنا سريعة تمضي ، وأزمنتنا تتشابك ، ومرضها بات مزمناً .

***

ذات ظهيرة عادت من مدرستها ، كنت في أرجوحة المنزل أقرأ في كتاب (ما بعد الحياة) لـ(كولن ولسون) ، وقفت أمامي تلهث فرحاً . . قالت :

- استلمت الراتب .

- حسناً .

- غداً لدي (أوف) نذهب إلى (السليمانية) .
- لكنها بعيدة ، سترهقنا الرحلة .
- زميلاتي قلن إنّ هناك أشياء جديدة وردت إلى الأسواق .
- لا مانع لدي ما دمت تسكنين مهجتي .
- أفضل الذهاب اليوم عصراً .
- كما تأمرين .

بعد الغداء توجهنا إلى مدينة (السليمانية) ، كانت المصادفة أن فندق (أوسكار) في شارع (سالم) الذي سكناه ، بجواره سوق كبير للدمى وألعاب الأطفال ، بعد العشاء دخلنا إليه ، امتعضت كثيراً لحظة وجدت زوجتي تصر على شراء دمية غريبة ، تحتشد أمامها مجموعة نساء وأطفال تغمرهم لهفة عارمة .

قال عنها شاب يقف وراء طاولة الحساب :

تتكلم كلما يمر من أمامها شخص . . !!

قالت امرأة :

تفيد الأغنياء ، كي تحرس أملاكهم من اللصوص .

كلامها أصبح رأس مال لزوجتي وأطفالي ، دفعت الحساب وحملتها إلى المركبة .

***

في الليل قلت لها :

بدأت أشعر بالغيرة .

– من الدمية .

– أليست تتحدث . . ؟؟

– بضع جمل لطيفة تم حشرها في قرص مضغوط يعمل بالبطارية .

– لكنها دمية تشبه رجلاً كبيراً .

– آه . . منك يا (سالم) ، إنها دمية وهل يعقل أنها تنافسك علي .

– عيناها مخيفتان .

– عيناك أجمل يا (سالم) .

– لا أدري بدأت أشعر بشيء يعصر قلبي .

– لا تفكر في الموضوع دعنا نستمتع بسفرتنا .

بعد يومين عدنا ، كانت الدمية جالسة مع الأطفال ، كانوا فرحين وهم يداعبونها ، وكانت تطلق جملاً مريبة ، كنت أختلس النظر إليها ، وجدتها ترمقني بنظرات منتصر في معركة عنيفة ، كدت أن أفقد تركيزي في القيادة لولا تدخلي السريع :

– أرموها إلى الحوض الخلفي قبل أن أعمل حادثاً .

ألقوها بشيء من التردد ، وحين عدنا . . قلت :

– لا تضعوها أمامي .

قالت زوجتي :

– سأضعها في صالة الضيوف كي ترحب بهم .

لم أحر جواباً ، متوقعاً أنها لن تعيش طويلاً معنا ، لا بد أن

الأطفـال في انتظارها قـرب القـمـامـة في القـريـب العـاجل ، سترميها كما رمت عشرات الدمى والألعاب السليمة .

تبـدل مـزاجي ، بدأت أشـعـر بضـيق في تنفـسي ، كـأن كـابوساً جثم على صدري ، حاولت أن أشغل نفسي بالكتابة ، أن أقرأ أشياء تحررني من مضاعفات الهم الموجودة في البيت ، كنت كلما أهبط من غرفتي وأمر من أمام باب الصالة ، أسمع صوت الدمية :

هلووووووو . . !!

وأحياناً تطلق جملة نابية :

- (قبلنيييييي أرجووووووك . . !!)

وجدت حـيـاتي بدأت تسلك مـسلك الغـيـرة ، فكرت أن أجـد لنفـسي حـلاً يريحني ، كي أتحـرر من الكـابوس الضـاغط ، وأنشغل بأمور الكتابة .

***

لا أعرف بالضبط لم خرجت في تلك اللحظة ، كان الفجر يتقدم حثيثاً لكنس بقايا الليل ، وكان الأرق قد لازمني منذ يومين ، مذ دخلت الدمية معنا ضيفة ثقيلة بالنسبة لي ، كون زوجتي وأطفالي اندمجوا معها في لهو عقيم ، أسمع قهقهاتهم ، لا أمتلك وسيلة تكفل انتزاع نفسي من الفوضى الحاصلة ، كنت ممتلئاً بالرغبات ، لكن دخول الدمية العجيبة على حد زعم زوجتي ، أماتت في رغبات كثيرة كنت أمارسها بشكل متواصل .

رغبة التجوال بمركبتي مساء لتعبئة ذاكرتي بمواقف حيوية تحصل على أرض الواقع ، بوادر مواضيع أقتنصها لتكملة مشاريعي الروائية المعطلة ، تفاصيل دقيقة تحدث ، رؤيتها تنشط خيالي وتزيدني عزيمة للكتابة .

رغبة القراءة المتواصلة ، فكلما أنتهي من كتاب ملهم ، أتمعن طويلاً في الرفوف المرصوصة أمامي في مكتبتي ، كتب كثيرة لم أقرأها لأسباب قد تكون معظمها واهية ، أقنعها إيجاد أوقات أكثر هدوءاً وصفاء للذهن من أجل استيعاب المضمون بشكل سليم .

رغـــبـــة تكملة إحـــدى رواياتي المنتظرة داخل ذاكـــرة (اللابتوب) ، روايات تتلبس خيالي بحرارة غير معهودة ، أبدأ بكتابتها بحماسة ، قبل أن تشرق مواضيع أخرى من محراب خيالي ، تقاطعني منتصف الكتابة أو في ثلثها الأخير ، عندها أجد خيالي يتوقف عن التجوال ويخضع للفكرة الجديدة الضاغطة .

رغبة تلبية دعوة تلفزيون (جلبلاء) لإجراء حوار مطول معي بمناسبة صدور تسعة كتب دفعة واحدة لي في (عمّان ودمشق ومصر) ، فكرة لحوحة تم طرحها علي مرات من قبل أحد الزملاء الفنانين ، لكنني كنت أرجىء اللقاء لسبب أنا أجهله ، ربما الوضع المتردي للأمن في بلدتي (جلبلاء) يلجم رغبتي بسلاسل الكسل .

رغبة التحضير لندوة أدبية موسعة في كلية الآداب في مدينة (خانقين) لمجابهة طلاب وطالبات الكلية ، وإلقاء محاضرة عن تجربتي القصصية والروائية ، مع قراءة نماذج قصصية حديثة الكتابة ، وجدتها فرصة مثالية أن أكون مع الجمهور وجهاً لوجه ، تفاعلت الرغبة وألهمتني بشحنة أدبية دفعتني إلى كتابة سيرة قلمية موجزة عن مسيرتي الطويلة في دنيا الأدب . فترت عندي رغبة أخيرة عندما كنت أمارسها بين الحين والحين ، كلما أبغي استعادة نشاطي المعهود في الكتابة ، كنت أنهمك بإعادة قراءة نصوصي القديمة ، قصص وروايات ومسرحيات مخزونة في ذاكرة (اللابتوب) ، كتب أخرى

مكتوبة باليد تعود لزمان الفقر ، أيام كنّا نقرأ ونكتب بحرارة غير طبيعية تحت ضوء الفوانيس والشموع ، وكلما أروم تنضيدها أجد الرغبة فاترة لا تصالحني ، ومزاجي غير مؤهل لاستدراج حرارة لحظة كتابتها ، ودائماً أجد نفسي فاقداً تلك الحماسة العمياء التي كانت أخت الجوع فيما مضى ، لا سبيل أجد سوى أرجاء الرغبة لفرصة مناسبة ربما لن تمتثل مطلقاً .

كنت كلما أمسك كتاباً أجدني أتنافر معه من السطور الأولى ، على عكس أيامنا المنصرمة ، حيث كنت أمسك الكتاب لست ساعات من غير توقف ، وكانت ذاكرتي تلتهم الكلمات كنار تأكل الهشيم ، وتنشد مع المواقف المثيرة التي ما زالت تتلبسني بحرارة لا توفرها كتب اليوم .

***

حاولت أن أتصالح مع موهبتي ، قررت الجلوس إلى (الكومبيوتر) في انتظار الغيمة الذهنية للكلمات ، تمر الدقائق والساعات قبل أن تنفر الكلمات من رأسي ، تتناهبني موجات متواصلة من النعاس ، تدحرجني إلى فراشي لأواجه صمت الغرفة وعتمتها ، تأخذني الصفنات العميقة وتسرقني الساعات العقيمة ، ويداهمني الفجر ، من خلال أصوات المساجد وهي تعلن انبلاج الفجر عبر التسبيح ورفع مراسيم الآذان .

***

فكرت أن أمشي خارج المنزل ، زرت أماكن طفولتي ، عبر كل الأزقة التي تبدلت ، حيث البيوت تجاوزت حدود الأخلاق

واستحقاقات المواطنة ، وانقضّت ـ بلا رحمة أو التفكير بالمستقبل الغامض لمن يتجاوز على حرمة القانون ـ على بقايا الممرات المضغوطة التي كنا نتخذها مساحات فرح أيام شبوبنا ، عندما كانت المراهقة وقودنا الدافع نحو تكحيل خيالاتنا بوجوه الفتيات الواقفات أمام أبواب المنازل ، أو الواقفات على سطوح البيوت الطينية ، يلقين إلى دنيا (جلبلاء) نبضات قلوبهن العاطفية ، غاسلات وجه النهار من الكسل المستتب ، ببسمات ثغور تحاول صناعة الحب لكل شاب وسيم يمر ، يمسكن كتبهن المنهجية ، ضاغطات بلذة على نهودهن لإخماد وخزات النمو المتواصل في صدورهن .

جربت السير بمحاذاة الوادي الكبير للبلدة ، على الرصيف الترابي للشارع الرئيس المتآكل ، في الجانب الأيسر للوادي تحديداً ، ذلك الرصيف قيل إن مقاولاً (لطش) الفلوس المخصصة لتعميره ، سرق الفلوس نهاراً ، وغادر من غير وجود عيون قانونية ساهرة تلاحقه لتعاقبه ، مرور المركبات والسابلة والغبار المتصاعد ، كلها صارت كوابيس متضاعفة راحت تزيد من ضراوة الاختناق ، الذي بدأ يضغط على صدري ، لم أشعر بشيء يدل على وجود وعكة صحية ، كل شيء في جسدي سليم ، لهفة البحث عن الطرائد الأدبية متواصلة ومتفاعلة في مخيالي ، أنظر بعيون مسرورة ، شهيقي لا يعتوره ضيق رغم نتانة الهواء ومغبوريته (هواء ممزوج بالغبار) ، لكن الضيق الكامن في صدري ، أعرفه ، سبق أن مررت به ، أدمنته ، ضيق

يوحي لي أنني مـقـبل على عـمل أدبي صـادم ، ربما رواية أو مسـرحيـة ، وغـالبـاً مـا أهيئ المستلزمـات الخـادمـة والضـرورية لتكملة المشوار الأدبي من غير توقف ، أهيء نفسي ذهنياً وبدنياً واضعاً في البال سـاعات الكتابة ، رغم تواجد مفـاجآت تعكر مزاجي وتميت حرارة الكتابة في نقطة ما ، تحديداً عندما ينقطع التـيـار الكهـربائي ، وتكون المولدة الكهـربائيـة عـاطلة عن ضخ التيـار البديل إلى ظلام المنازل ، جراء تحايل صاحـبـها متـذرعاً بارتفاع سعر الكازولين .

***

كـان الوقت صبـاحـاً قـبل طلوع قـرص الشـمس من وراء التلال الشرقية للبلدة ، عدت من المسجد ، وجدت نفسي في ضيق تام ، بعدما عكر مزاجي صوت الدمية :

– لا تمر من غير تقبيلي يا سيد . . !!

خـرجت كي أكنس فـوضى السـهـر وترسـبـات الأرق المستـفـحل من جسـدي ، فكرة عـابرة قـادت مـركـبـة جسـدي للمـرور من زقاق لم أمر به سابقاً ، رغم وجوده على مقـربة من بيـتي ، كـان حـديث العـهـد ولد بعـمليـة قـيـصـرية ، وبعـد عـراك لسـاني دون أن يتطور إلى اشـتـبـاك يدوي بين الجـيـران ، تدخل رجل صـاحب حظوة وكـلام مسـموع ، وأنهى العـراك الدائر بين النسوة عبـر كل سـاعـات النهار تقـريباً ، بسبب تجـاوز كل بيت لمسافة غير معقولة ، فتلاطمت الحيطان الخلفية للبيوت ، حيطان متـفـاوتة في الارتفاع ومتعـرجة ، تدخل بعض الشبّان وحدث

تلاسن حاد مشحون بالشتائم والوعيد ، قبل أن تشتعل المعركة لتعم معظم البيوت المتراصة على هيئة نسق متعرج في خطين طويلين .

فاعل الخير جاء في الوقت المناسب ، تجمعت الحشود من حوله . . قال :

– كلكم متجاوزون ، بالله عليكم كيف تنظفون مياه مجاريكم لو تلاصقت جدران منازلكم . . !!

فاعل الخير أجبر كل بيت أن يتراجع نصف متر من الجانبين ، فعلوا ذلك وتراخت فيهم حماسة الغضب وحب العراك الفارغ ، الذي شاع بين أهالي البلدة بعد زوال السلطة ودخول القوات متعددة الجنسيات لإشاعة فوضوية العيش وحياة بلا قانون .

لقد كان مجرى ماء المجاري للبيوت يمر بين صفي المنازل ، ولولا ذلك الرجل لسدروا في غيهم وتركوا مياه مجاريهم تتحرر في الأزقة ، من غير شعور بالمسؤولية ، ومن غير وجود رحمة بالآخرين .

سلكت الممر ، رغم رائحة المجرى ووجود أكياس أزبال مقذوفة من وراء الجدران ، في منتصف الممر سمعت صوتاً غريباً ، توقفت ، كانت هناك جراء خائفة ، لم يكن الصوت الغريب صادراً من تلك الجراء ، صوت كائن خائف ومخنوق ، مشيت بعدما خلت أن مصدر الصوت لم يكن سوى أنين هارب من أغواري ، عبرت الممر وعند نهايته توقفت أستطلع ،

وجدت الجراء في حالة فوضى ، عاينت الجدران ، لم أجد رأساً بشرياً أو نافذة يتخذها صبي لإقلاق تلك الجراء الحائرة ، وجدت فرصة مثالية للتخلص من كابوسي ، عدت ووقفت عند جراء هلوعة راحت تلوذ بي ، تلتف حولي وتحك نفسها بقدمي ، في تلك اللحظة وجدت كيساً من بين الأكياس المرمية يتحرك ، أو خلته تحرك ، شيء من هذا القبيل تخاطر إلى ذهني ، توقعت أن فأراً ما وربما جرذاً لقوة الحركة تسلل إليه ، لكن ظني خاب فجأة . . لحظة صدر صوت مخنوق :

– سالم . . أنقذني . . !!

صوت بشري صادر من مكان غير متوقع ، أغمضت عيني وسحبت شهيقاً ، وزفرت حرائق أغواري دفعة واحدة ، كان الضجيج المتواصل في رأسي جراء سهري لليلتين متتاليتين مهيمناً على صفاء ذهني ، خلت جسدي المرهق ما زال يصدر أوامره ، لكن الصوت واصل نداءه :

– لا تقف حائراً . . دع إنسانيتك تتغلب على مشاعرك ، الأديب في يومنا هذا وحده صاحب الضمير الحي المتبقي داخل الشعوب المقهورة .

ولد في رعب مفاجئ ، بعدما قر يقيني أن الذي يحصل لم يكن مزحة مزاجية ، أو مفاجأة من مفاجآت أحلام اليقظة ، فالذي يستصرخني بشري في ضيق ، النداء واضح الجرس ، والصوت يرجع لإنسان ما يسكن قلب محنة ما ، والجراء تبدو مرعوبة من هول ما يحدث ، برعشة جسد تقدمت من أكوام

الأكياس المتراكمة ، رغبت في استعادة توازني وتحرير جسدي من الرجفة المباغتة ، بمقدمة حذائي بدأت أركل الأكياس ، كيساً تلو كيس ، ركلت خمسة أكياس محشورة بمهملات وبقايا أطعمة ، قبل أن يصطدم حذائي بكيس ثقيل ، ندت منه صرخة :

: آآآآآآآخ . . !!

تراجعت خطوتين ، وصوت بكاء خافت بدأ يتحشرج ، أبعدت من ذهني فكرة طارئة ، أن امرأة ما جاءت ليلاً وألقت في هذا الدهليز الخانق ثمرة خطيئة نمت في أحشائها ، تجنباً للفضيحة أو النحر ، كما يحصل بين فترة وأخرى ، خف صوت البكاء ، سمعت صوتاً واضحاً :

– يا بشر . . أما تخاف الله ، الميت له حرمة ، أرجوك أخرجني من هذا الكفن . . !!

يد خفية دفعتني ، رفعت الكيس وفتحته ، وجدت رأساً بشرياً جميلاً ، مفتوح العينين ، صاح بوجهي :

– لا تعلن هذا الموقف جهراً ، خذني سراً لأكون نديمك حتى موعد أجلي . . !!

– ولكن أنت مجرد رأس ، يجب دفنك . . !!

– كلا . . كلا . . أرجوك أنا رأس حي ، لم أمت بعد . . !!

– كيف . . ربما بعد دقائق أو بعد ساعة ستهمد وتتعفن . .!!

– هذا ليس صحيحاً أنا أعرف نفسي كما تعرف أنت نفسك . . !!

– يجب أن أخبر الشرطة عن وجودك ، كي يقوموا بالإجراءات اللازمة حسب القانون . . !!

– إيّاك أن تفعل هذا ، أنا حي ، خذني معك ، أنت تعيش حالة غيبوبة ، أنت تحتاجني كي تسترد صفاء روحك القلقة . .!!

– أين آخذك ، هل تريد أن تروع زوجتي وأطفالي . . !!

– خذني سراً ، أعاهدك أن أكون رهن طلباتك ، حين تحتاجني سأبادلك كلاماً مفيداً .

– أي كلام تبادلني ، أنت مقبل على الهمود ، ستتعفن وتندلق رائحتك البغيضة ، هناك حيوانات تنحر تبقى أرواحها عالقة بأجسادها لدقائق أو لساعات قبل أن تستسلم ليد مصيرها .

– أنا أختلف يا (سالم) . . !!

– سالم . . هل تعرفني .

– أعرفك منذ فترة طويلة .

– لكنني لم أرك من قبل ، وجهك غريب .

– كنت أقرأ ما تكتب على صفحات الجرائد وأتابعك على مواقع الانترنت .

– أحقاً كنت من قرائي .

– كنت أتابع كل صغيرة وكبيرة عنك .

– حسناً من أنت كي أوصلك لذويك .

– أرجوك لا تفكر بكل ما يطرأ بذهنك ، خذني معك ، تلك هي رغبتي .

– لكن أخــذك يخــالف الشــرع والقــانون ومــركــزي الاجتماعي .

– أنا لم أمت بعد كي تخالف الأعراف .

– أنت رأس فقط .

– رأس حي ما دمت أمتلك حرية الكلام .

– ماذا لو لم أمر من هنا ، كنت حتماً ستهمد .

– ستـمـر . . شئت أم أبيت ، ستـمـر ، كنت أبتـهـل كي أكحل عيني بك ، وتحققت أمنيتي الأخيرة .

– أجبني ، بدأت الشمس تطرد الناس من منازلها ، قبل أن أجد نفسي في محنة سياسية بسببك .

– لا توجد أية محنة ، لساني سيذود عنك .

– ما العمل إذاً . . ؟؟

– لا خيـار أمامك خذني ، معك وهناك في بيتك تحديداً في غرفتك الخاصة ستعرف كل الأمور العالقة بذهنك .

– غـرفـتي الخاصـة ومـا أدراك بهـا ، وعن أية أمـور عـالقـة تتحدث . . ؟؟

– كتبت عن غرفتك مقالاً جميلاً ، كان آخر مقال أقرأه لك قبل عزلي من الجسد الذي كان ملتصقاً بي ، بحت أيضاً أنك بصــدد كــتــابة رواية غــريبــة عن الواقع الأليم لبلدتنا (جلبلاء) . . !!

– يبدو أنك من المتابعين الشغوفين لما أكتب . . !!

– حين أكـون مـعك في غـرفـتك العلوية هناك سـأمـدك

بفيض معلومات كافية لكتابة روايتك الجديدة .

خضعت لضعف دهمني وأخرجني من طور الرهبة ، حملت الكيس وبدأت أخطو كمجرم يحمل دليل جرمه ، تناهبتني هواجس مقلقة ، كيف أواجه زوجتي ، ماذا لو رأتني وعرفت ما أحمل ، حتماً ستملأ الزقاق صراخاً ، حتماً سأكون أنا القاتل أو الذابح لإنسان بريء يبدو من محياه أنه شاب يحمل صفات نادرة ، طالما كان يعشق الأدب ومتابعاً حريصاً لكتاباتي ، حاولت أن أجد مبررات مقنعة كي أدافع بها عن نفسي لو اكتشفت أمري .

وصلت البيت ، فتحت الباب ومضيت على رؤوس أصابعي ، خائفاً مرتجفاً ، ما إن وضعت قدمي على السلم المرمري كي أصل إلى غرفتي العلوية . . صاحت زوجتي :

– أين تأخذ الصمون . . !!

تجمدت أوصالي ، تذكرت كلامها في الليل ، طلبت مني أن أجلب صباحاً (صمون حار) للفطور ، لم أجرؤ على النظر إلى عينيها . . واصلت صياحها :

– سالم ماذا دهاك . . ؟؟

– لا شيء . . لم أذهب إلى الفرن بعد . . !!

– وما هذا الكيس الذي بيدك . . خلته صموناً . . !!

اصطنعت بسمة وبادلتني ببسمة مشتعلة ، هزت رأسها ولم تعقب ، تحررت في تلك اللحظة من كابوس واقعي لو اكتشفت أمري لربما عاطت من هول المشهد ، وصرختها معروفة

عند نساء الجيران ، فهي كثيرة التذمر والتشكي جرّاء حركات الأطفال ، مزاجها ضعيف لم يحتمل أدنى صوت أو إثارة ، حتماً لو صاحت لجعلت نساء الجيران يهرولن خارج بيوتهن ، والمجيء إلينا لمد يد العون لمصيبة صباحية غير مرتبطة بالأطفال كونهم نائمين ، صعدت درجات السلّم ودخلت غرفتي ، فتحت الكيس ، وجدت العينين مغمضتين ، وضعته على الطاولة قرب جهاز (اللابتوب) مرتعباً ، سحبت كمية من الهواء وحررته ، باغتني شعور بالراحة ، حين خلت الرأس قد همد ، سهل همومه علي القضية ، فكرت أن أعيده إلى مكانه ، هناك بين صفي البيوت حيث ممر المجاري ، عندها يمكنني أن أشعر الشرطة بوجود (رأس مقطوع) ، رغم خطورة التبليغ ، كون المبلغ غالباً ما يتعرض إلى مسائلات قانونية ، وقد يعيش أياماً تعيسة في السجون قبل تحريره كائناً متعباً تحت المراقبة ، وقد يحصل أن يعطى كنيته كاملة للفئة التي تعمل الفساد في المجتمع فيقتص منه كما يحصل دائماً ، فالواشي يشاع اسمه بين الناس ؛ لأن الألسنة لم تعد تمتلك الحصانة الأخلاقية ولا تتعاطى قدسية الأسرار ، أستغرق تفكيري بضع دقائق قبل أن أسمع صوت شخير يتعالى من منخري الرأس ، سادني ارتباك ورحت أقرب أذني منه ، تأكدت من الشخير ، هاتفني ظن أنه يستغرق في نوم عميق ، قلت إنه لم ينم طيلة فترة وجوده بين أكياس القمامة ، رفعت رأسي بحثاً عن مكان أمين يجنبني المتاعب ، رغم أن غرفتي محرمة على كل البشر ، عهد اتخذته

مع نفسي ووافقت عليه زوجتي يوم تحابنا ، وفرضت رغبتي على قوة عنادها ، كون الكتابة الأدبية تحتاج إلى طقوس خاصة أشبه بالتمرد والتطرف والعزلة ، ينبغي على الكاتب الناجح ، ومن يروم إعطاء الحياة أشياء مفيدة ، أن يعتزل العالم لحظات الكتابة ، كي يتأمل بصمت ويفكر بصفاء ذهن ، ويستخلص الكلمات الصادمة والنافعة لتكوين النصوص الأدبية الخالدة .

جاءت هذه الفكرة بعد سلسلة إخفاقات ونتائج غير مرجوة عبر نصوص كانت متعبة ، كنت أكتب والضجيج يختلط بمزاجي ، ضجيج الأطفال وصرخات زوجتي التي لا تنتهي من غير دوافع ، كانت ترغب بالصياح دائماً ، شعور غريب يتملكها ما بين الحين والحين لملء الدنيا صراخاً ، وكنت أريد تفسيراً لتلك الرغبة المتوالدة فيها منذ طفولتها ، أقنعتني أنها رغبة مجهولة ، تشعر أن في أغوارها رياح تهب تبحث عن نوافذ كي تخرج ، رياح ملغومة بحرائق الأعصاب وبؤس الحظوظ الملازمة ، وأشياء كثيرة كانت أحلام بناتية لم تتحقق ، ربما هي على حق ، لكل امرأة مزاج خاص ، لها حرية التعبير عن خلجاتها أو تنفيس لحرائقها ، فنساء المرحلة محرومات من كل شيء ، حتى رغبات الليل ما عادت تشكل سوى مقت وجهد بلا دوافع عاطفية ، فالحروب المتكررة تركت في أجساد الرجال الخمول واليأس ، ونسفت في عروقهم قدسية العلاقات الجسدية ، جعلتهم قرباً بلا أحلام ، فواكه بلا طعم ، غيوماً بلا ماء .

فكرت أن أضع الرأس بعد تخليصه من الكيس داخل أحد الكراتين المتراصة فوق المكتبة ، هناك سأجعله يغط في نومه ، متمنياً أن يهمد كي أتخلص من الشرور المتوقعة جراء فعلتي اللاإرادية ، أخرجته بصمت ونقلته إلى الكرتون بعد تفريغ محتوياته من أوراق ومشاريع كتابية تعود لسنوات مديدة ، قفلت عائداً إلى غرفتي وهبطت درجات السلّم وخرجت من البيت ، مشيت من الممر نفسه ، كنت أنظر إلى الأكياس بشيء من التوجس ، شيء يشعرني أن للرأس صاحباً ، مثلما الكمأ لا ينبت من غير أصحاب من حوله ، توقعت أن هناك رأساً أو رؤوساً أخر مقطوعة بلبابة ولطف وموضوعة بعناية رحيمة داخل أكياس نايلون ، بدلاً من كراتين الموز بعدما فرغ سوق البلدة من تلك الفاكهة ، بسبب غلق المنافذ الحدودية حتى إشعار آخر ، قرار سياسي تم العمل به فور حصول انفجارات دموية متلاحقة في العاصمة ، للضغط على دول الجوار كي يمنعوا المتسللين من زعزعة أمن البلاد .

كان (الرأس المقطوع) ملقى في ذلك المكان لسبب لا يعرفه إلاّ السيّاف ، وربما لإثارة الفزع بين الناس ، كما شاع عبر وسائل الإعلام ، وجدت الجراء خالدة للصمت وغارقة في النوم ، عرفت أنها تأكدت من سلامة جبهتها من الطارئين ، لذلك هنئت بنومها كما هنأ (الرأس المقطوع) بالنوم في غرفتي ، ذهبت إلى فرن الصمون ، اشتريت وعدت ، لم أرغب أن أسلك الممر ذاته ، خشية أن أوقظ الجراء من نومها ، وصلت البيت ،

وجدت زوجتي واقفة في الحديقة ، حائرة ، تكاد أن تنفجر في صيحة من صيحاتها العظيمة ، نذر الرعب يرتسم بوضوح في ملامحها ، زفيرها حريق . . صاحت :

– أسمع صوت كلب ينبح في غرفتك . . !!

ضحكت ، ومررت يدي على وجهها ، شعرت بنار غضبها يحرق أصابعي ، هدأت وأضافت :

– ماذا تعمل بالكلب الذي جلبته . . ؟؟

– أي كلب . . !!

– الجرو الذي كان في الكيس . . !!

– أنت تحلمين يا زوجتي العزيزة . . !!

– أي حلم ، رأيتك من النافذة تدخل إلى ممر الجراء .

– هوني عليك ولا تدعي الأطفال يرتعبون ، أنت واهمة يا زوجتي .

– حسناً دعني أدخل غرفتك .

– والشرط الجازم الذي أبرمناه .

– أصبحنا زوجين ، لم تعد الشروط نافذة المفعول بعد زواجنا .

– لكننا تعاهدنا على أن تكون غرفة الكتابة محرمة على الجميع ما دمت أعيش بينكم .

– كان ذلك قبل فترة التغيير السياسي في البلاد .

– وهل يجب أن نقلب حياتنا رأساً على عقب مع انقلاب الحياة السياسية في بلادنا .

– يجب أن نعيد ترتيب الأمور من جديد وفق مجريات الحياة الجديدة .

– حسناً نحتاج لجلسة حوار هادئ لوضع شروط جديدة قبل أن نحنث بقسم اتخذناه بيقين صادق يوم الحب .

– أرجوك قل لي ماذا تعمل بالجرو . . ؟؟

– أي جرو أنا أمقت الكلاب . . !!

– ولم كتاباتك مليئة بالكلاب والأشياء المرعبة . . ؟؟

– يبدو أنك نسيت أنني أرمز لنوع من البشر بالكلاب لتوافق صفاتهم مع صفاتها .

صمتت وخفت حدة توترها ، عادت البسمة لروحها بعدما طبعت قبلة على خديها ، وقبلة ممطوطة على ثغرها ، تناولت مني الصمون ودخلنا إلى المطبخ ، جلسنا وتناولنا الفطور ، كنت أتجنب النظر الكثير إلى عينيها ، خشية أن تكتشف بقايا رعب أو حيرة مترسبة في عيني ، تخلصنا من الفطور ، دنت مني . . قالت :

– الأطفال نائمون . . !!

– سهروا طويلاً دعيهم يرتاحون .

– لم لم تأتي إلي .

– آه . . كنت بشوق مضطرم لك ، حين تجنبتِ تحرشاتي ، تركتك ومضيت إلى غرفتي .

– التعب أخذني ، فخسرت ليلة معك .

– آه . . أنت تثيرينني .

- لندخل إلى صالة الضيوف .
- كلا سترانا الدمية ، وربما ستقص على الضيوف عملنا .
- حسناً لنعملها هنا في المطبخ .
- هذا المكان لم نفعل فيه من قبل .
- ليكن فعلنا الأول .

قضينا نصف ساعة ما بين المزاح والفعل ، توجهت إلى الحمّام وأزحت أوضار اللعبة القدرية ، والتي جبلنا عليها كون الصباح يوفر لنا النشاط الجسدي والذهني ، وكنت أشعر بضراوة الرغبة في الكتابة ، كلما أمارس نشاطي الجنسي صباحاً ، أغتسل وأدخل مشغل الكتابة ممتلئاً ، مثاراً بسيل جارف من الأفكار النافعة .

توجهت إلى غرفتي بعدما أشعرتني هي بوقت الكتابة . . قالت :

- حان وقت العمل .
- آه . . كدت أن أنسى .
- لا تكتب عن الكلاب كثيراً خشية أن يستفيقوا من غيهم وينبحوا بوجهك .
- الكلاب كلاب ، سيبقون كلاباً طالما ينهشون لحوم الفقراء .

توجهت هي إلى الحمّام ودخلت أنا غرفتي ، جلست خلف الطاولة ، فتحت جهاز (اللابتوب) وبدأت أداعب الأزرار وعيني على الكرتون ، كان الشخير متواصلاً ، لم أجد رغبة في

الكتابة ، كانت الموهبة متعطلة ، سحبت كتاباً ومضيت أقلب أوراقه ، كتاب جميل قرأته سابقاً وجدته يستحق القراءة ثانية ، كونه أنشودة شعرية ممتعة ، خطها يراع قلم استحق عليها جائزة (نوبل ١٩٥٦) ، (أنا وحماري) للكاتب الإسباني (خوان رامون خيمنيث) ، وجدت ملكة القراءة متحفزة هذه المرة خلاف اليومين المنصرمين ، بدأت أقرأ وأدون بعض الملاحظات المهمة والأفكار العابرة ، والتي من الممكن أن تغدو مشاريع لقصص قصيرة ، قبل أن ينادي الرأس :

– أخرجني من منامي . . !!

نحيت الكتاب جانباً ، تقدمت من المكتبة ، أنزلت الكرتون وأخرجته ، كان مفتوح العينين ، متورد الوجنتين . . قال :

– لن أنسى معروفك .

– لم أعمل شيئاً سوى تلبية رغبتك .

– منحتني وقتاً استعدت فيه راحتي .

– كادت زوجتي أن تعول وتلم الناس علينا ، لولا إغراقها بفيض عواطفي .

– وهل علمت بي .

– تحركت مشاعرها لمعرفة ما في الكيس ، لكنها ترددت فجأة .

– إياك أن تعلمها بي ، المرأة كائنة ضعيفة لا تحتمل المواقف المرعبة .

– لكنها أصرت أنها تسمع نباح جرو في غرفتي .

– ربما تشربت روحي أصوات الجراء وصرت أقلدها في النوم .

– إياك أن تفعل ذلك ثانية .

– سأحاول لو تعاملت معي بصدق وحسن نية .

– قل لي من أنت . . !؟

– لا يشكل ذلك عندك شيئاً سواء عرفتني أم جهلتني ، فالأمر سيّان بالنسبة للقضية .

– لم لم تعلمني بقضيتك ، كي أعيدك لذويك ، ربما هم يبحثون عنك الآن ، كي تعلمهم بما جرى لك .

– أنا نحرت من قبل فئة ضالة تعمل على روع الناس .

– أتعرفهم . . ؟؟

– لو رأيتهم سأصرخ بوجوههم .

– كيف نحروك .

– تلك قضية طويلة ، ستعرف لاحقاً القصة الكاملة لنحري .

– حسناً أنت تقودني إلى مصيبة تاريخية .

– ربما ستجنني منها منفعة كبيرة .

– أية منفعة ترجى من رأس مبتور ، إلاّ إذا كانت الجائزة المرجوة السجن المؤبد أو الشنق أمام الناس بتهمة إشاعة الإرهاب .

– حسناً أنت تورطت حسب اعتقادك ، عليك أن تواصل رحلتك التورطية حتى يحين أجلي .

– وهل هذا خيار آخير .

– لا مفك من هذا الخيار ، الموت وحده سيحررك من خوفك المتنامي .

– حسناً لنتصارح في حوارنا .

– أنا صريح ، الرأس حين يغادر الجسد يتحرر من الآثام ، فالجسد هو مستودع الخطيئة ، الرأس قبطان ممتلئ بالصفات الملائكية ، حين يحدث التلاحم ما بين العضوين ، تحصل تفاعلات حيوانية غالباً ما يكون الجسد هو المهيمن ؛ لذلك كمية الصفات الحيوانية في العالم هي الغالبة بسبب تهور الأجساد وإلغائها الدور القيادي للرؤوس الحكيمة .

– هل كنت رأس مثقف فيلسوف .

– كل رأس فيلسوف .

– ولم كل هذه الفوضى في العالم .

– قلت لك الجسد مستودع الشرور والشهوات ، هو الغالب كونه يمتلك وسائل التدمير ، أعني الشهوة ، مستبد بقوة نفسه ، يقتحم من غير اللجوء إلى قبطان موجه ، أعني الرأس .

– حدثني عن جسدك الراحل .

– تحتاج لمزيد من الوقت كي أحدثك عن جسد شاذ سقط جراء تهوره تحت مقصلة العقاب .

– حسناً ألم تشعر بالألم والخوف .

– الرأس يفرح حين يعتزل الجسد المليء بالآثام .

– أنت الآن سعيد .

– سعادتي اكتملت حين تحققت رغبتي برؤيتك .

– وماذا كانت رغبتك .

– أن أوفر لك مادة روايتك القادمة ، روايتك الخالدة .

– لكنني أشعر بملل من الكتابة ، فهي ما عادت تنفع في يومنا هذا .

– إياك أن تجعل هذا الهاجس يميت موهبتك ، الكتابة قناديل مزروعة لمستقبل مشرق قادم ، لا تربط ما بين الذي يجري من حولك وبين موهبتك ، اجعلها وقوداً ضارياً لتأجيج حماستك في تدوين الوقائع الجارية قبل أن تنفلت من شبك مخيلتك .

– حسناً رغبتي متواصلة لكنني منذ يومين أشعر بفتور وإملال .

– قل صحوة ، تمهيد لعمل نافع ، تلك فترات راحة تفرضها الموهبة ، كونك لا تعطيها إجازات وفواصل استجمام كي تأتي إليك نشيطة كما تتهيأ الزوجة لزوجها حين ترغب بالفراش .

– حقاً ما تقول ، كنت أواصل العمل بلا راحة ، بلا أسفار ، بلا قراءة .

– سأعوضك عن كل ذلك ، الآن يجب أن لا تفلت هذه الفرصة التاريخية معي ، اجعلها مادة خصبة لرواية غرائبية تثير أسئلة كبيرة في الوسط الأدبي .

– قد يكون الموضوع صادماً ، غير مقنع ، فذائقة اليوم متعبة ، مسكونة بصدمة (صدام الطوائف) ، ونهوض تيار

السلفية ، ووسائل الإلغاء والشعوبية على أيدي عابثة تلهث لتدمير العالم .

– لا تيأس من الغرائبية ، أنت الآن تعيش في عالم متقلب المزاج ، الناس من حولك أشباح فاقدة توازنها ، تراهم في كل لحظة تتبدل أهواؤهم ، لا يقر بهم قرار ، هؤلاء سمعتهم مرة ، يبغون جلب نهاية البشرية وتقريب (الساعة) ، وهم يداعب عقولهم ، على اعتبار منطقي ومقنع بالنسبة لهم ، أن الحياة تنتهي على البسيطة عند انتهاء مصادر الطاقة ، لذلك يخططون لتدمير كل مصادر الطاقة كي تعم الفوضى وتسود الحياة البدائية والفطرة والعودة إلى العصور الحجرية الأولى .

– هذه إفرازات تتحملها المرحلة الحرجة من حياتنا ، كون أصحاب السيادة يحولون مسار عجلة الحرية عن طريق السلام لمنافع شخصية ورغبات شهوانية تسكنهم .

– هذا الموضوع شائك وعقيم ، عليك أن توظف الواقع ممزوجاً بالخيال كي توازن طبيعة كتاباتك بما يجري أو ما يطلبه المستقبل منك ، فالروائي يدون التأريخ الأدبي لعصره ، وهو يتحمل مسؤولية نقل الوقائع إلى خانة المستقبل بأمانة وصدق ، قبل أن يغدو شبه كاتب مفتعل وكاذب وغير مرغوب فيه في قطار الخالدين .

– أنا أكتب كل ما هو واقع ومن غير تردد أو تمرد ولا خوف ، وأنت قرأت كل ما كتبت على ما أعتقد .

– أعرف شجاعتك وعدم ترددك عن مقارعة الظلام

وزبانيته ، قرأت كل ما كتبت ، أنت الوحيد الذي كان يثلج صدري بقصصه ورواياته ومسرحياته ومقالاته .

– حسناً قل لي ما العمل كي لا أتورط بجريمة أنا لست مرتكبها ، وأنت تذهب لقدرك من غير لغط ، وربما الخضوع لمشارط التشريح في الطب العدلي .

– أترك هذا الأمر أرجوك ، ليس قبل أن يأتي أجلي .

– ولكن الآجال بيد الله .

– أنا رأس ، وفي الرأس توجد أسرار الحياة المعلنة والخفية .

– أنا أيضاً لدي رأس لا يخمن ماذا سيجري بعد لحظة .

أطلق (الرأس المقطوع) ضحكة مخنوقة ، أثارت دهشتي ، قبل أن أشعر بخوفٍ خشية أن تسمع زوجتي ضحكته شبه الهستيرية ، لو سمعتها لظنت أن هناك حالة غامضة تجري في غرفتي ، ربما ستعلن أنها ستكسر قرار (الفيتو) على غرفة كتابتي ، ستقتحم بصرختها المعهودة مكاناً ظلّ يحمل قدسيته نادرة مذ تزوجنا ، لم يحصل أن طلبت الدخول إلى مشغلي ، كانت ملتزمة ، وتمدني بفيض من التشجيع كي أكتب الروايات وتكون هي ناقدتها الأولى ، ومصححة بارعة للغتي حين تحصل أخطاء عابرة .

كانت عيني على باب الغرفة ، متهيئاً كنت لمباغتة غير محمودة ، قبل أن يتوقف الرأس عن الضحك . . قال :

– إذا أردت أن تتعلم الأسرار الكبرى في الحياة عليك أن تفصل رأسك عن جسدك .

من غير شعور مددت يدي وطوقت رقبتي . . قلت :

– أعزل رأسي عن جسدي .

– الجسد بيت الشيطان ، الرأس مملوء بنور الرحمن .

سـمـعت وقع خطوات على السلّم ، عـرفت أن زوجـتي صعدت تطلبني لأمـر ما ، وربما هي فعـلاً سـمعت الضـحكة الغريبة ، طالما هي تعلم أنني إنسان غير ضحوك . . همست :

– كف عن الكلام إنها قادمة .

– أطمئن سأغمض عيني فأنا بحاجة إلى نوم طويل كي أستـعيـد شـريط الماضي ، وأحـدثك عن الذي جرى بناء على رغبتك .

أغلقت الكرتون واتخـذت الصمت ، سـمعت نقـرات على الباب ، توجهت وفتحته ، كانت قد هبطت ثانية ، حالة متفق عليها بيننا ، هبطت إليهـا ، رأيتها قلقة ، حاولت أن أطبع قبلة على خدها ، تراجعت رافضة ، لم تكن عادة مستحدثة ، كثيراً ما كـانت تتصنع الغضب قبل أن أغـزل في أذنيـها بضع جمل غزلية ترطب أحشاءها وتلين من طبيعتها ، تسترخي وتقع مائعة علي ، عندها تتأجج الرغبة وننساق تحت عجلة الشهوة القاتلة ، نعيش لحظات سامية ، ونعود كما كنّا أحباباً جمعتنا الصدفة في رباطنا المقدس . . قالت :

– ماذا كان في الكيس . . ؟؟

– أي كيس . . !!

– الأسود . . !!

– آه . . كانت أوراق مهملة أردت أن ألقيها على المزبلة لكنني تراجعت .

– ولم تراجعت . . ؟؟

– قررت أن أحرقها بدلاً من إلقائها في القمامة ، كونها تحمل كلمات قد يتم تفسيرها بشكل خاطئ لو وقعت بيد فضولي أو بيد مخبر سرّي .

– هل تعلم ماذا يجري في الزقاق . . ؟؟

– كل شيء هادئ وأنا أواصل الكتابة براحة تامة .

– شرطة (جلبلاء) كلها في الزقاق .

– ربما هناك عبوة ملقاة .

– أية عبوة ، يقولون رأس بشري مقطوع تم إلقاؤه في الزقاق .

– رأس بشري ، ومن قال هذا الكلام؟ .

– الشرطة تقول إن مجهولاً اتصل بهم وأعلمهم بوجود رأسٍ مقطوع .

– ربما أخبار كاذبة ، ألم يتصلوا بهم قبل يومين ويخبرونهم بوجود عبوة ناسفة في قمامة الزقاق .

– ربما كان الخبر لإيهامهم قبل أن يلقوا بالرأس المقطوع .

– أرجوك دعِ الوساوس والظنون .

– سنرى ماذَا سيحصل لنا في هذه البلدة الغريبة .

ربت على كتفها ، سمحت أن أقبلها وخرجت إلى الزقاق ، كانت مركبات الشرطة واقفة ، والناس متراجعين إلى مسافة

آمنة ، وجـدت شـرطيـاً منبطحـاً على الأرض ، أشـار لي أن أبتعد . . قال :

– أستاذ يرجى عدم المرور .

– ما الذي يجري . . ؟؟

– هناك إخبارية عن وجود (رأس مقطوع) في هذا المكان .

– ولم كل هذا الاحتراس ، أنا مستعد إن كان هناك حقاً رأس بشري سأتقدم منه وأجلبه لكم .

– أستاذ المتوقع أن الخبر إيهام ، يريدوننا أن نتجمع كي ينفلق علينا الرأس المفخخ .

– وهل وصلوا بنذالتهم إلى تفخيخ الرؤوس البشرية .

– ألم يفخخوا الكلاب والحمير . . ؟؟

– كل شيء ممكن وجائز في البلدة بعد فقدان زمام الأمور ، وحصول الشرخ في الصفات النبيلة ، جراء فقدان الرشد ونوم البصيرة .

تراجعت ووقفت أنتظر نهاية المشهد ، رغم حظر التجوال المفروض على الأشخاص والمركبات من المرور عبر الزقاق ، تولدت في الرغبة لاقتحام الممر وجلب كل أكياس القمامة إليهم ، لكن الرغبة تعطلت ما إن ظهرت الهمرات (الأمريكية) وهي تعلن حضورها الثقيل ، نزل رهط جنود ، أرسلوا (ربوطاً) آلياً يمشي ببطارية مربوطاً بسلك موجه ، وجدت الجراء تولي هاربة وكنت أضحك في سرّي ، عاد (الربوط) حاملاً بشارة الأمن ، اندفع جنديان وغربلا الأكياس وعادا ، تم فك الحظر

وانسحبت الهمرات ومركبات الشرطة ، وحدث هرج ولغط بين الناس ، عدت وقلت لزوجتي :

- كذبة أخرى .

- خشيت أن تكون هناك عبوة منصوبة لإحداث كارثة في الزقاق .

- لا أعتقد أن المكان يليق بأهداف أصحاب العبوات ، فـ (الهمرات) لا تسلك ممرات زقاقنا .

سكتت ومضيت إلى غرفتي ، سمعت صوت الشخير من داخل الكرتون ، مع وجود رائحة نوم ثقيل نتن ، فتحت النافذة المطلة على السطح ، سحبت كتاب (أنا وحماري) ورحت أقرأ بتمعن ، براحة ما وجدتها من قبل ، وعلى أنغام الشخير المتذبذب غرقت في سعادة لا توصف . . !!

***

منتصف الظهيرة ، تصاعد من مئذنة الجامع نداء صلاة الظهر ، توقف الشخير فجأة ، سمعت همساً يرتفع من الكرتون ، قمت نحوه وأنزلته ، كان فاتحاً عينيه مبتسماً . . قلت :

– نوماً هنيئاً أيها الرأس المحير .

– لا يجب أن ننام عندما يرتفع النداء .

– وما علاقتك به .

– الرأس مستودع الخير ، يستمد حياته من هذا النداء الكريم .

– أتدري ما الذي حدث قبل قليل .

– أعرف أن شرطة (جلبلاء) تبحث عني .

– وما أدراك بهذا الأمر .

– أنا رأس أحمل حضارة الدنيا كلها ، أنا الآن معزول عن الجسد مستودع البلادة والخمول ، أنا استشرفت حياتي القادمة وأعلم متى سأفارقك .

– متى يتم ذلك .

– ليس قبل أن أجبيك عن سؤالك .

– أي سؤال .

– طريقة وسبب نحري ومن أنا .

– ربما لم أعد بحاجة إلى ذلك .

– أنا رأس ، والرأس لا يعرف التردد ، التردد من صفات الجسد مستودع الشهوات والغرور .

– حسناً يمكنك أن تجبني كي أتفرغ من هذه الورطة .

– أتسميها ورطة ، أنا جئت بناء على رغبة تحققت وبقي الشطر الآخر من رغبتي .

– وما هو المتبقي ، يمكنني تحقيقها لك .

– كنت أبحث عنك كي أستودعك قضيتي لتكتبها رواية .

– لكن الرواية تحتاج إلى أمور كثيرة كي تتشكل ، الرواية ليست عريضة ممكن كتابتها في جلسة سماع واحدة .

– قصتي لا تحتاج إلى وقت طويل ، أكتبها بلغة (الأنا) كونها طريقة سهلة للروي ، أسلوب يوفر شاعرية ملهمة ، كونها وافرة بالهواجس وزاخرة بإسقاطات الذات .

– على ما يبدو لي ، أنك تعرف مجاهيل وأسرار الكتابة .

– كل رأس مسكون بعلوم الحياة كاملة ، لكن الجسد هو من يتسبب في تدمير المواهب ، وتحويل الحياة إلى جحيم جراء الشهوات وحب الاستحواذ .

– حسناً لدي متسع من الوقت كي أصغي إليك بصفاء ذهن ويقظة حواس ، كي نخرج من هذه القضية من غير خسارات بيننا .

– ليس الأمر على مزاجك ، أنا من يحدد ذلك ، ثم أنا الخاسر الأخير ، أنت ستربح مادة غريبة لروايتك القادمة .

– حسناً هل يمكنني أن أعرف المدة تحديداً أو تخميناً كي أبرمج سير أموري .

– كلا . . أنت عليك أن تواصل حياتك الطبيعية كما كنت ، أنا سأعلن ذلك حين يأزف موعد رحيلي الأبدي عن هذه البلدة ، وربما خلودي فيها .

– تقديرياً أيطول علي ذلك أم مجرد ساعات .

– ربما لا وربما نعم .

– ماذا لو تم تفتيش منازلنا من قبل الحكومة بحثاً عنك .

– ليست هناك بوادر تفتيش في هذه الأيام تحديداً ، الحكومة منشغلة بتشكيل نفسها ، الناس لا يشكلون هاجساً أمام أطماع ذاتية هي أكبر من حقوق الناس وأحلامهم .

– أنت تقول كلاماً خطيراً أيها الرأس .

– كلام عادي يعرفه القاصي والداني .

– وكيف عرفت هذه الأمور .

– أنا رأس ، أنسيت أن الرأس مستودع الحياة السابقة والحياة القادمة .

– حسناً لنفترض أن الحياة الماضية وقائع تم دفنها في الرؤوس ، ما قضية الحياة القادمة .

– يا لك من كاتب أبله .

– أبله . . أتهينني في داري وفي غرفتي .

– أستميحك عذراً ، لم أكن أعني أهانتك ، فقط أردتك أن تخرج من سطوة الخوف ، من ملابسات خيالك ، كن متوازناً ، أنت في الواقع ، عليك أن تستمد من هذه القضية مادة روايتك القادمة .

– لكنك تفوهت بما لا يرضيني .

– آه . . كنت أقصد أن الحياة القادمة نعلمها من خلال الخيال ، من خلال الحاسة السادسة .

– التنبؤ يعني .

– الآن فهمت مقصدي .

– لو عـــــرفت رأس من أنت في بلدتي لربما هانت قضيتـــك .

– رأس قرروا قطعه ، لكن الأعمار بيد الله ، حصل خطأ في تقرير المصير لي أو للجسد الملتصق بي ، والخطأ وارد في حسابات الموت ، والملائكة خطاءون أيضاً .

– لا أفهم كلامك .

– حسناً كان القرار عزلي يوم غد تحديداً ، تم اتخاذ القرار والتوقيت المناسب ، لكن دافعاً شيطانياً دفعهم للتسرع ونكث القرار ، صعدت روحي وعادت وحين لم تجد الجسد قررت أن تسكن في الرأس .

– أنت تتفوه بتخاريف يا رأس .

– وأنت تتجاوز على العلوم الغيبية بلسان سليط يا حي .

– وأين راح الجسد هل طار؟ .

– كـلا . . حين رمـوه تقـاتلت عليـه الكلاب الضـالة والتهمته .

– وأنت ذدت عن حرمتك بلسانك .

– كـلا . . أنا كنت داخل الكيس ؛ لأن العـمليـة كـانت مبادلة رأس برأس .

– برأس من . . ؟؟

– رأس لم ألتقِ به ، ربما رأسك ، وربما رأس شـخصٍ مـا من رؤوس البلدة ، وربما رأس من بلدة أخـرى ، وربما كـانوا يقـصـدون (رأس . . مال) ، أنت تعرف أن هناك كلاماً شائعاً يقول إن فئات خـارجـيـة تدفع أموال طائلة مـقـابل قطع رؤوس منتخـبـة ، المهم كـانت القضـيـة واضحـة بالنسـبـة لي ، عـرفت أنني مطلوب من قبل جـهـة ما مقـابل رأس ما مطلوب من جـهـة قطعتني ، كنت أسمع الحوار الدائر بين أشخاص ملثمين ، كـانوا يهاتفون جهة ما حول تحقيق الغاية ، ولم أعد أعرف ما الذي حصل ، كنت نائماً من هول النحـر ، لـم تكـن السكين حـادة ، أو بالأحـرى المنجل الذي استخدموه لقطعي ، شعرت بمرارة الألم ، ندت مني غرغرة مختنقة وحشرجة طويلة قبل أن أكتشف نفسي طائراً في سديم مـهـول ، كـأنني صاروخ موجـه إلى جرم بعـيـد ، عـبرت طبـقـات غيوم متراكمة وموجات غازات عديمة اللون والرائحة ، في سجن كـبير سقطت قبل أن أركل بقدم ، وانطلقت ككرة بسرعة البرق إلى واقعي ، وجـدت نفـسي داخل كـيس ، قـرب مـزبلة أو مـيـاه مـجـار ، سـمـعت أصـوات جـراء خـائفـة ، قـبل أن تأتي أنت

وتنتشلني من الضياع ، أو ربما أرجعوني لتكملة حلمي الكبير ، أو رغبتي المثالية ، أن ألتقي بك .

– هل كان جسدك يعمل في جهة ما ، شرطة ، جيش ، حزب ما .

– كلا . . كان ممتلئاً بشهوات ، أغلظها شهوة النكاح .

– لكنهم غير مهتمين بالمبتلين بهذه الشهوة .

– كل شيء مستهدف طالما هو خارج فلك الشريعة وقوانينهم .

– ربما استراتيجية جديدة لهم .

– لكم حاولت أن أثنية من سكة أطماعه ، كان متهوراً ، يندفع صوب كل فرصة سقوط .

– تلك مصيبة ابتلي بها الكثير من أبناء البلدة والبلاد ، وربما العالم الثالث .

– الجسد الملتصق بي ، كان سبّاقاً لكل فرصة سعادة ، كان يؤرقه الحب قبل أن يتحول إلى حب تدمير الذات ، من خلال اقتحام دهاليز الانحراف .

– الذي أعرفه أن الرأس هو قائد مركبة الجسد ، أنت تحكي أشياء لنقل معكوسة ، ألم تقده ، ألم تشعره بالمزالق والمهالك الموجودة أمام أفعاله ، إن كنت محقاً في قولك على أنك تعلم حضارة الحياة القادمة أيضاً .

– لا . . لا . . لا . . لا تحرف الكلمة ، أنت أردت أن تقول مغلوطة .

- لا فرق بين الكلمتين .

- حسناً ستناديك زوجتك الجميلة على الغداء ، تذكرني حين تأكل .

- جميلة . . هل رأيتها . . . ؟؟

- الصوت الجميل ينم عن ملاحة وجه وقلب واسع ورغبات كبيرة .

- حسناً . . علي أن أذهب للمسجد ، إياك أن تتصرف بشكل غير لائق ، سأتصرف بجنون لو بدر منك ما يشعر أو يشيع الهلع في المنزل .

- لا أحتاج لوصية ، أنا أكثر منك احتراساً ، بعد غدائك سيشغلنا كلام طويل .

أغمض عينيه ونقلت الكرتون إلى موقعه ، أغلقت الباب وهبطت درجات السلّم ، وجدت زوجتي واقفة ، مستغربة . . قالت :

- بدأت تكتب بطريقة صائتة .

- أنا . . !!

- تكتب وكأنك تحاور شخوصك وهم يرفضون أفكارك .

- آه . . أنا أنفعل أثناء الكتابة .

- لكنك لم تكن كذلك من قبل .

- الموضوع الذي بين يدي ملهم وعجيب ، أكاد أن أتحول إلى كلمات جرّاء الإلهام الذي يستعمرني .

- هيّا . . لا تتأخر عن الغداء .

خـرجت إلى الجـامع ، أديت الصـلاة وخـرجت ، وجـدت الناس في تجـمعـات يتقـولون عن حـدث غـريب ، ناداني (ملاّ) المسجد . . قال :

- رجل غريب جاء يسأل عنك .
- غريب وهل هو من أهل البلدة .
- كان مرتبكاً ، سأل ومضى .

جعلني كـلامه في حيـرة ، كـون منزلي تفصله عن المسجد خطوات ، لـم أشـعـر بضـيق من الكلام قدر ربط رحيله من غـير تكلفـة نفـسـه لطرق باب منزلي ، فـالغـرباء دائمـاً يأتون إلي من أزقـة البلدة ومن البلدات الأخـر ، يأتون من أجل مـد يد العـون مـادياً ومـعنوياً لهـم ، منهم من يأتي يطلب بعض كـتـبي بعـدمـا شـغف بأسلوبي من خـلال مـواقع (الانتـرنـت) ، لكن أن يأتي غريب ويرحل من غير تحقيق غايته شيء يستحق التوقف .

عـدت وتناولت غـدائي ، جلست لنصف سـاعـة حـائراً في حديقة المنزل ، كـانت العصـافير تتقاتل فيمـا بينها ، تذكرت أن ذلك يعني في عـرف أمـهـاتنا أن ضـيفـاً سيأتي ، جاءت زوجتي تحمل كوبي شاي ، جلست قبالتي . . قالت :

- (سالم) . . أنت مرهق .
- الكتابة عمل مضن يستنزف طاقة الجسد .
- نحتاج لسفرة استجمام .
- متى .
- سنقرر ذلك بعد صلاة العصر .

- كما يروقك .

احتسينا الشاي ، تحاورنا لبعض الوقت ، نهضت وعدت إلى غرفتي ، سمعت نشيجاً يشيع في الغرفة جواً كابوسياً ، تقدمت من الكرتون وأنزلته ، وجدته دامع العينين ، صفرة حادة تكسو الوجنتين . . قلت :

- وهل الرأس يبكي .

فتح عينيه ، متألقاً بالدمع الجاري كالينابيع الصافية . . قال :

- مثلك ومثل كل حي يضحك حين تمرون بيوم ميلادكم .

- وهل هذا يوم ميلادك .

- في مثل هذا اليوم ، وتحديداً في مثل هذه الظهيرة ، خرجت قبل الجسد الملتصق بي من سديم خانق .

- حسناً سنحتفل من أجل سعادتك .

- كلا . . الفرح لا يليق بالميلاد .

- كيف .

- تكرار الميلاد يعني أنك تنزف أوراق تقويم بقائك حياً وتدنو من نهايتك .

- هذا يعني أنك تدنو من الرحيل .

- قدر مقدر على الجميع .

رفعت الكرتون ووضعته على طاولة الكتابة ، ذاب الدمع ، فتح عينيه على سعتهما . . همس :

- هل مررت بتجربة حب .

- كل إنسان يمتلك رغبة عاطفية جامحة في يوم ما .
- أنا أعني هل مررت بتجربة العشق .
- قد يكون هذا الكلام خطيراً لو تطرقت إليه عبر كتاباتي .
- ولم . . الحب نعمة كبرى من صفات أهل الإيمان ، فالقلوب تكون قاسية لو لم يمسها نور السلام ونفحات الشعر .
- وهل أنت مررت به .
- أنا رأس . . الجسد هو من يبادر نحو تلك الرغبات .
- يعني أن الجسد الملتصق بك مر بهذا النشاط .

مر مروراً كبيراً ، كان لا يتورع من ملاحقة كل أنثى مهما كانت درجة جمالها ، كان جسداً غريباً يندفع نحو كل شيء يمنح سعادة الجسد .

- هل يمكنني معرفته .
- لا يضيف لك ذلك شيئاً ، أنصحك نصيحة أدبية ، لا تكتب عن الأشياء التي تعرفها كاملة ، أكتب عن غامض الأمور ، كونه يعطيك زخماً واندفاعاً ومجالات واسعة للتأويل والتنقيب .
- هذا طبعي فيما أكتب .
- الجسد الملتصق بي ، عشق فتاة واحدة قبل أن يزل معها ، أغلق على نفسه منافذ الحب وفتح أمام شهوته دهاليز الفناء ، وصار يتعبد في محراب الشهوة قبل أن يسقط في بئر حتفه .
- هل يمكنني أن أعرف تلك الفتاة .

– لا يهم ذلك ، ربما ستأتي إليك حين تنهي روايتك .

– قد تسهل علي بعض الجوانب الغامضة .

– لا تكن صحافياً في كتابة رواياتك ، دع مخيلتك تبتكر وتخلق الأشياء النافعة .

– مجرد هاجس ربما لن ألتزم به لو عرفتها .

– قل لي هل أحببت زوجتك .

– كل الحب ، رأتني وطاردتني حتى أسقطتني في حديقة المسرات الدنيوية .

– أرجوك الصراحة مطلب في الكتابة ، الكتابة المغمسة بدم الصراحة يكون عمرها أطول وأنفع للأجيال اللاحقة .

– هل كنت ناقداً . . ؟؟

– كل رأس ناقد لا يخطىء ، لكن سلطة الجسد هي الغالبة ، يعتمد النقد على قوة الشهوة داخل مركبة الجسد .

– لكن النقد هاجس لن يتشكل ما لم يتشرب الرأس بثقافة واسعة وذهن متقد وبصيرة نافذة تستشرف عمق الأشياء .

– كل ذلك تحت سطوة الجسد ، فالجسد هو من يفرض على العين تحقيق رغبته ، الرأس مجرد (قنباص) للتوجيه والقنص ليس إلاّ .

– أنت تعكر خيالي ، تخلخل مفاهيمي ، لو كتبت هذه الأمور سيضحك علي القارئ ، وربما سيهجرني من غير رجعة .

– ليس بقارئ من يهجر الكتاب ، في كل كتاب شيء

نافع ، عليك أن تقرأ حتى الأشياء المنافية للواقع والعقل كونها يعطيك فرص أخرى لكشف الجوانب الغامضة للعقل البشري .

– أشعر بتعب يهد جسدي ، لا رغبة أمتلك لمواصلة الحوار ، أنا تعودت على قيلولة الظهيرة .

إن لم أنم ليس بوسعي أن أواصل الكتابة ليلاً .

– حسناً يمكنك أن تنال قيلولتك ، الكلام الحاسم بيننا موعده الليلة .

أغمض عينيه ، أغلقت عليه فم الكرتون ووضعته على المكتبة ، عدت إلى سريري وألقيت بجسدي ، وجدت سقف الغرفة شاشة غائمة ، تلوح أشباح تحاول تعكير مزاجي ، انقلبت على بطني كي أنعم بساعة نوم ، لم أجد فرصة ملائمة كي أفقد صلتي بالعالم ، قررت أن أستحم ، تجربة نافعة مررت بها ونعمت بنوم هانئ في أيام الأرق ، دخلت الحمام ، لحظة خلعت ملابسي سمعت نقرات خفيفة على الباب ، عرفت أن زوجتي رغبت أن تشاركني الرغبة ، جلست على المقعد الكونكريتي وسمحت لها بالعمل ، غالباً ما تقوم بتدليك جسدي وتمنحني راحة جسد وقوفاً كما أشتهي . . قالت :

– (سالم) . . أنت غير طبيعي هذا اليوم .

– ما حصل في الزقاق شغل فكري .

– لكنك لم تنشغل مثلما انشغلت هذا اليوم .

– أشعر أن هناك رغبة كبيرة تستوطنني لكتابة عمل روائي مختلف .

- أرجو أن لا تتركه كما تركت عشرات المشاريع السابقة .

- أرجو ذلك ، الذي يستولي علي أكبر من كل الفرص التي مررت بها .

اكتفينا وانهمكنا بنشاطنا الجسدي ، وخرجنا . . قالت :

- لا ترهق فكرك كثيراً ، كي تنجز العمل من غير تأجيل .

اكتفيت بابتسامة ، هبطت هي درجات السلّم ودخلت أنا إلى غرفتي ، لم يكن هناك شيء ، الصمت يخيم على الغرفة ، احتبست نفسي كي أتأكد من أن نديمي كان يشخر أو ينشج ، لا شيء سوى الهدوء ، ألقيت بجسدي على السرير ونمت . . !!

***

صوت مكبرات الصوت للمسجد أنهضني من قيلولتي ، ارتديت بنطالي على عجلٍ وخرجت إلى المسجد ، صليت صلاتي جماعة ، خرجت وسلكت الطريق نحو سوق البلدة ، مررت بمكتبة (عماد) لشراء الصحف ، أخبرني المكتبي أن الصحف لم تصل اليوم بسبب انقطاع الطريق ؛ لوجود عبوات مزروعة على جانبيه ، وجدت جمهرة شبّان يستغرقون في حوار مشحون في قضية الرأس المفقود ، تفاعلت لدي رغبة إصغاء لمعرفة تفاصيل نافعة تقربني من هوية (الرأس المقطوع) الموجود في غرفتي ؛ لإيجاد الحل الملائم كي يجنبني المتاعب ، لكن الحوار بين الشبّان فجأة توقف لحظة تقدم شرطي مدجج كامل القيافة ، شاهراً سلاحه نحو الناس ، صائحاً بهم كي يتحركوا سريعاً ، اندفعت ماشياً ، وجدت مركبات (أمريكية) تشق

أحشاء الشارع الرئيس للبلدة ، وصلت وادي البلدة ، في تلك اللحظة أبطأت في سيري ، كان المساء يدنو كعادته ، مغبراً ، ضجراً ، يوحي بقدوم ليلة أخرى مظلمة ؛ لوجود عطب في المحولات الكهربائية ، شغلت نفسي بحثاً عن وسيلة تخلصني من عواقب فعلتي ، فكرت أن أحمل الرأس ليلاً وألقيه في مكانه ، وجدت الفكرة ملائمة لمزاجي ، لكن الخوف ظل يعدم كل فرصة وليدة ، ترددت ، قلت ربما ستكتشفه امرأة ما من الزقاق ، عندها ستعيط وتسرع الشرطة إلى المكان ، حتماً سيتكلم الرأس ما عنده ومن أخذه وأعاده ، عندها أكون داخل شبكة معقدة من متاهات قانونية عقيمة ، كوني لم أخبرهم بالقضية ، وتهمتي ستكون (متستر) على عمل إرهابي ، فنساء الزقاق يلقين أزبال منازلهن في ذلك الممر ، ويبقين للحظات وهن يقلبن أحشاء المزبلة بحثاً عن شيء ينفع تلقيه عائلة ميسورة ، جراء التبدل الحاصل في أثاث المنازل بسبب تعافي رواتب الموظفين ، وغالباً ما كنت أجد واحدة تنظف مجرى الساقية وهي تشق كل كيس ملقى وتدلق ما هو محشور فيه ، وضعت الفكرة جانباً كونني قد أحكمت على القرار الختم بالشمع الأحمر .

وصلت البيت مع الغروب ، استبدلت ملابسي ومضيت أصلي المغرب جماعة ، عدت من صلاتي ، وجدت زوجتي وأطفالي ينتظرونني على مائدة العشاء ، شاركتهم العشاء ، لم أجد رغبة في تناول الشاي ، أرجأت ذلك لما بعد صلاة

العـشـاء ، صـعـدت إلى غـرفـتي ، جلسـت إلى الطاولـة ، ناداني الرأس :

– أكاد أختنق . . !!

توجـهت وأنزلتـه ، كـان ينظر إلي بريبة ، خـشـيت أن أطيل النظر فيه ، بدا معاتباً ، كأنه علم بما عزمت عليه . . قلت :

– أرجو أن تكون هذه الليلة حاسمة كما أفصحت .

– كل شيء مكتوب .

– ألم تقل إنك تعلم الزمن الآتي .

– هذا الموضـوع شـائك وربما لـن يقنعك كـلامي ، لنتـرك الأشياء تتداعى على نظامها المقرور .

– حـــــسناً لـو عـلمـت من أنـت ربما تـولدت لـدي فكـرة استبقائك طالما أنت حي تنبض .

– بقـائي مـرهون بما أحـمـل من مـواقف تخص الجـسـد الملتصق بي .

– قل لي ألم تشعر بالجوع . . !!

– الجسد هو من يجوع .

– والرأس أيضاً يمتلك غذاءه .

– غذاء الرأس كتب ومواقف ومشاهد .

– أتدري على مـا عـزمت ، ولدت لدي فكرة أن آخـذك إلى الحمّام كي أرطبك بماء منعش .

– لا داعي للتفكير بهـذا ، أنا رأس لا أحـتـاج إلى النظافة ، أعني الاستحمام ، الجسد هو الذي يطلب ذلك ، هو من يقحم

نفسه في مستنقعات الرذيلة والفضيلة ؛ لذلك يشعر بنتانته .

– كلامك يخالف الواقع .

– ثق يا (سالم) الجسد هو كل شيء ، أنت تحتاج لسنوات أخرى كي تعلن صواب كلامي ، أنظر إلى العالم من حولك ، كل شيء هو الجسد ، المسرح أوّل من وعى ذلك وتوصل إلى فكرة الاشتغال على الجسد كحالة تعبير تحايث الواقع ، الجسد صار الوسيلة الملائمة لتغيير مسار الإنسانية ، الفنانون وضعوا الجسد فلكاً وراحوا يصبون أفكارهم حوله .

– أدرك هذا ولكن ليس كل محدث يديم حداثويته .

– الكل ينظر إلى المرأة من خلال الجسد ، لا أحد يهمه الرأس ، لم يعد الجمال يشكل هاجساً معتبراً ، صار الجسد الأنثوي الشعلة الملهمة للمغامرة .

– لكن لا قيمة للجسد من غير رأس .

– أنا لا أنكر دور الرأس في بلورة الحياة وتكملة القيافة البشرية ، وربما قيافة الأشياء في الوجود .

– لكنك تركز على الجسد وتحاول إلغاء دورك الحيوي في الوجود .

– يا أخي (سالم) الكلاب التهمت جسدي ، الحيوانات المفترسة تبدأ بالتهام الجسد أولاً ، أما الرأس فيتخذونه وسيلة لهو بعد أن يشبعوا من الجسد .

– مسألة طبيعية ، الجسد يتكون من لحم ، والرأس من عظم .

– ربما لن تفهم ما أعني ، أنا أعني الجسد محور الوجود البشري .

– الجسد كجزء من عالم متكامل اسمه الإنسان .

– تذكر أن العضو حين يتألم ، يتألم له سائر الجسد ، وليس الرأس .

– حديث نبوي شريف .

– نعم أدرك هذا وقرأته مرات .

– قل لي كيف تواصل حياتك ، كيف تعيش ، ألم تشعر بالجوع بالعطش .

– كلا . . أنا أتغذى على نفسي .

– الإنسان بلا قلب كائن عاطل عن الخدمة ، ميت .

– القلب مضخة لتنقية الدم ، أنا لا أحتاج إلى تلك الآلة ، كون دمي يبقى طاهراً طالما تخلص من الجسد مستودع الشهوات وموطن الآثام .

– أتجوع . . ؟؟

– كلا . . لدي ملايين الخلايا ، إنها تطعمني .

– ستنفد .

– إذ . . ذاك سنفترق ، أنا أذهب إلى عالمي الآخر ، وأنت ستتفرغ لكتابة روايتك .

– قد أبكيك .

– ردة فعل جسدك .

– لكنني سأستخدم عقلي وفكري وخلايا مخي كي

أحتوي الحزن الذي سيلازمني .

قل عـروق جسـدك هي التي تشعـر بضـغط الفـراغ الذي سيتوالد جراء فراقنا .

آه . . بدأت أشعر بوشائج ودودة تتشكل بيننا .

الوشـائج تشكلت منذ فـترة ، عندمـا كنـت تنثر كـتـاباتك لنا ، كنا نتفاعل معها ونشرب حروفها بترو كي تعيش فينا كما الأحلام .

حـسناً هل يمكنك إطلاعي على أسـرارك ، أعني كل مـا فيك من أحلام وأشياء قد تكون ذات أهمية بالنسبة لي .

بدأت تعجبني بطرحك هذا السؤال الحيوي بالنسبة لي ، إنك تمنحني فرصة جديدة لحياة طويلة ، حسناً أنت هيأتني لقدري ، وفرت لي فرصة مناسبة لقول ما أخزن في دسكات مخي من مشاهد ، أنت حقاً بدأت تكتبني رواية ، ذلك كان حلمي الكبير في الحياة قبل رحيلي .

***

الآن لم أعد أشكل علاقة متجانسة مع جسد غادرني أو غادرته استجابة لقدر لا رجعة فيه ، كان الجسد الملتصق بي ، متخوماً بشهوات متلاطمة قذفته ، يناضل ليل نهار لإخماد حرائقه ، لا يقر به قرار ، يخرج ليلاً ، يتسكع لاهثاً ، يتجول عبر الأزقة الخانقة ، في الأماكن المشبوهة ، مستفزاً يتصيد كركرات نسائية تهرب من غير خوف أو خجل من وراء جدران المنازل الطينية ، أو من خلل النوافذ غير المحصنة ، يتوقف لساعات ، حسب درجة الصمت والأمان المتوفر ، يندمج ليسكر خلجاته بشهوة الصوت الأنثوي الجارح ، يتفاعل ، يذوب ، قبل أن يمارس نشاطه الجسدي ، تلك اللعبة غير المشرّفة للكائن العاقل ، كان من غير شعور منه يلهث ضاغطاً على أعصابه كي يغمض عيني ، مستدرجاً الذروة العاطفية ، وحين يذوي داخل عربة الراحة القاتلة ، متثاقلاً يجرجر نفسه ، كائناً فاقداً هويته ، خائفاً يواصل رحلته إلى منامه كي يهرب من نفسه أولاً ومن العالم أيضاً ، أحياناً يفشل في إيقاظ أفاعي شهوته ، تبدو محاولاته يائسة من غير نتيجة مثمرة ، لا يتورع من خوض لجة المغامرة ، متشجعاً بتسلق الجدران الواطئة ، يركب سقوف المنازل

الطينية المتلاصقة ، يمشي كحيوان يتربص بقنيصة ، يتلصص بحثاً عن جسد أنثى عارية ، أو نائمة تحت جسد ضار يفح مكهرباً الليل بنثار آهاته .

لم يستطع ذات ليلة إطفاء غليونه المتوقد أبداً ، وجد جسد أنثى نائمة ، عربة رغبة من غير مالك ، ظل يعذبني بطول تمرده على القيم والأعراف المعروفة ، بدت جرأته فوق كل سد منيع أو سور رادع ، جاوز حدود عقله ، ناسياً القوانين والعقوبات وكل إشكالات العواقب الوخيمة المترتبة على من يتجاوز على حدود الشرف العزيز للآخرين ، رغم إدراكه أنه مقبل على دخول حرب دامية بلا سلاح أو تجربة سابقة ، اندفع يزحف ، كان مسكوناً برائحة الجريمة ، جريمة الخروج من جلده البشري ، كثعلب وجد دجاجة في قن مفتوح الباب ، رغم وجود حرّاس لا يتورعون من عمل كل شيء للذود عن الشرف النائم تحت سطوة الوهم ، بدا الجسد الملتصق بي لا أبالياً ، ناسفاً فكرة إسقاط نفسه في مستنقع الفضيحة ، كون وقائع مماثلة حصلت ، جرّاء البلادة وربما الوهم ، وربما كانت هناك رغبة عارمة اتخذت من الليل ستاراً لتمرير العواقب ، لذلك غامر وراح يزحف كأفعى نحو فريسة غافلة ، شعر بحرائقه تفوق استيعاب جسده ، لهاثه لهاث غريق في أنفاسه الأخيرة ، زحفاً وصل الجسد الممدد تحت سماء مزدانة بالنجوم ، ووحدة من غير وجود مبرر ، كون الأجساد غالباً ما تنام معاً لصقاً أو على مقربة من البعض ، لكن هذا الجسد المتكشف انفرد ، ربما القدر قرر ذلك ،

أو حصلت مشادة داخلية ، وربما لغيّاب الجسد المكمل قيافة العائلة السعيدة ، الجسد الممدد كان يخلد لراحة تامة ، ربما بعد نهار شاق من أعمال بيتية مضنية ، أو ليلة بدأت بعاطفة واسترخى لاستكمال مشروع الحياة في حلم مأمول ، كان فاتحاً ساقين ناصعتين ، لم يرغب بغطاء يستر العورتين ، الجسد الملتصق بي بدأ بإرسال اليدين المرتجفتين ، وصلتا إلى الجسد السكران في بحيرة النوم والأحلام ، تململ الجسد النائم ، ربما أفاقت الرغبة الليلية ، النشيد الخالد للحرية ، وقد حصل التوهم المتوقع ، غالباً ما ينساق جسد الأنثى لرغبة جسد الرجل في وقت غير متوقع ، لا رغبة للنهوض ، فالنوم سلطان قاهر ، يسترخي الجسد الأنثوي وينقاد لعاصفة الجسد الذكوري ، ربما من هذا الباب المفتوح خلد الجسد للرغبة ، كل التوقعات لا تذهب خارج فلك البيت ، حيث الرجل يزعل ويصالح في وقت ما حين تكون الشهوة قاتلة ، فالجسد الأنثوي دائماً مهيء في الليل لغارات النصف الآخر ؛ كي يتلاحم كلما تنهض حرائق الرغبة ، الجسد الملتصق بي انطلق من هذا المبدأ من غير تردد ، دون أن يتدارس الوحدة التي تشمل الجسد النائم ، دون أن يكون هناك توقع بأن الجسد الشريك ربما هو خارج البيت ، ألغى كل المتعلقات التي تثير رغبة التردد ، كان مثاراً منفعلاً مسكوناً بزهو الانتصار ، اكتشف بئراً ظامئة ، بئراً جف ماؤها ، وجد الرغبة منسجمة ، ليس ثمة موانع تصد السعادة المتوالدة ، الجسد الملتصق بي صعد التل اللحمي المتراخي ، وبدأ عزف

الحياة العاصف ، اللهاث المشترك ، الأنين الجارح للغريزة ، النشيد الكوني للسقوط ، كان الجسد الآخر أسير نشوة مباغتة ، ربما حلم عابر ، لم يرغب بالمكاشفة ، وجد السعادة غامرة ، لا يمكن أن تعوض هذه الغيمة الماطرة في ليل مزحوم بالأرق ، كان الليل يستر الجسدين بنجوم ساهرة ، أغمضت عيني بعيداً عن الإثم المتواصل ، كنت أعبىء ذاكرتي بمفردات الغزل غير الطبيعي ، بمواجيد العاطفة المنفلتة ، الثغران مشتبكان في معركة شرب ماء الأغوار المتدفقة ، الأيدي تتشابك في عراك مسالم ، ربما ستقول الجسد هو من أجبرني أن أغمض عيني كي يواصل زراعة حرائقه في جوف الظلمات المشتعلة بعواصف مرعبة ، تلك هي من أحكام الخلق ، في جسد كل كائن أعصاب تسمونها عضلات أيضاً ، تقوم بوظائف شتى ، أنظر إلى الأفعى مثلاً حين تتربص بفريسة ، تهيء جسدها الطويل لتحقيق غايتها ، وظيفة جسدها تبدأ بالالتواء على جسد الفريسة ، معركة جسدين ، تملك أعصاباً تعمل عمل الطواحين ، تقوم بتهشيم جسد الضحية كي تتأهل لتكون لقمة سهلة ، الراقصة على المسرح ترقص ، تهز جسدها ، لا أحد يهمه النظر لملاحتها ، الكل مشدود الأعصاب إلى جسد مرن يهتز ويهز المشاعر المتأججة ، تمر الفتاة ، الكل ينظر إليها من الخلف ، وهي تهز عجيزتها أو ساقيها ، الكل متوتر الأعصاب ، مستثار الشهوة ، الجسد الراقد تحت لهاث الجسد الملتصق بي مات بآهة مديدة نازفة ، همود أشبه بالموت ، كون الأجساد حين

تمطر عواطفها تغط في غيبوبة الإرهاق ، سكرة النشوة الخالدة ، خلد الجسد الملتصق بي أيضاً لموت سعيد ، بعدما فرغ من فيضان عروقه ، تحرش بأنامل متراخية بالجسد الضحية كي يوقظه ، رغبة توالدت لفك اشتباك الغموض الموجود بين الطرفين ، ليستمر هذا العطاء الليلي الدائم ، لكن الآخر رفض أن يكشف النقاب عن هيئته ، راح يدفع الجسد الملتصق بي ، يحاول إلغاءه ، أن ينئيه من عواقب متوقعة ، ربما وجد الحلم حقيقة حاصلة في لحظة غيبوبة ، هنا يشتغل الجسد ، ينأى عن نفسه ضوء الانتشار ، تسمونه مثلبة الفضيحة ، ظل خالداً متلفعاً بعباءة الليل ، وقبل أن يهل الفجر ، قرر الجسد الملتصق بي أن يغادر أرض العاطفة السريعة ، تسمونها العابرة ، بعدما فشل في التحقق من هوية الجسد النائم باعث فرحه ، هبط من السقف الطيني وراح يمشي منتشياً كأنه فتح قلعة مصادرة ، أو أعاد مجد بلاد ضائعة ، بخيلاء منتصر يمشي ، موفور النشاط ، رافعاً لواء مجده على عالم يغط في أمواج تعاسة كاسحة .

***

عاود الجسد الملتصق بي في الليلة اللاحقة تأجيج نار رغبته ، وجد جسد رجل ينام في تلك البقعة ، ظل متمدداً على أرضية سقف الغرفة ، أراد أن يدرك سر التبدل الحاصل ، هل حقاً حقق ما حصل أم كان حلماً عابراً ترك رماده في ذاكرته ، لم يهتد لنتيجة ما لم يتصل بي عبر الومضات السرية الذائبة في خليج دمه ، كنت الشاهد المدون لكل سكناته ،

أقنعته بصدق القضية ، دفع عاصفة توالدت فيه ، خرجت من فمي زفيراً حريقاً ، عرفت أنه استعاد حيويته لمواصلة تكحيل نفسه أو ترطيب عروقه بنسيم عواطفه ، شعر باليأس يتغلغل إليه ، فشل أن يذعن الليل لتوفير فرصة خادمة ، كي يستطلع أمر جسد الليلة المنصرمة ، قرر البحث عن مخابئ مماثلة ، نيرانه تدفعه ، دائماً يتصور أن الأجساد المتوهمة تعج بها منازل البلدة ، حيث الأمان موجود ، تلك البيوتات المتواضعة والغارقة في شعبيتها ، هناك الأجساد متداخلة ، لا توجد بينها أطماع ، لا توجد نيران شهوات خارج أفران الأوعية الجسدية المغلقة على مفهومية الحلال ، لا حرام يلوح طالما المنازل متراصة برباط الأخلاقية الفطرية للعوائل .

الجسد الملتصق بي ، قرر أن يمشي متأججاً بالفحيح والأرق المتصاعد من مساماته ، جسد لا يذعن للفتور ما لم يسكب ماء أحزانه عبر أي شق ممكن ، لا يركن أو يخضع للهزيمة ما لم يصول في متاهات الرذيلة .

وصل الوادي الكبير ، منتصف البلدة ، لا شيء سوى كلاب ضالة تنبح ، مصابيح كابية تحاول مقاتلة العتمة ، في تلك اللحظة ، في أوج غضبه ، في ذروة التوتر التام لأعصابه ، طلت البوادر الأولى للفجر ، الجسد الملتصق بي لم يحصل أن عاد ذات تجوال من غير تحقيق حظوته ، فهو غيمة حابلة أينما كان ، وكلما يفشل لرش مشروب سعادته في إيجاد مهبل عابر ، يخضع لقانون الفناء ، يمارس عادته الوقحة ، عادته

العلنية ، تسمونها أنتم سريّة ، في ظل جدار أو قرب نافذة مغلقة تمرر شخير نساء نائمات ، يلهث ، يسكب مطره في بقعة عفنة ، حيث العتمة ، أحياناً يهبط من الشارع ويتخذ الجسر الكونكريتي مكاناً آمناً لسكب مشروب سعادته ، بعدما يفشل في الحصول على أنغام كركرات أنثوية أو تأوهات جسدية في لحظة جماع ، تنفلت من الغرف الطينية ، يستدرج من مخي صورة قديمة لهيئة جسد امرأة بعد تعريتها بناء على متطلبات شهوته ، يندمج معها في حوار وهمي عاصف قبل أن يفش كبالون فقد هواءه .

الجسد الملتصق بي ، وجد جسداً يقف قرب حافة صخرية ، تحت ظلال صف أشجار تمد المنطقة بظلال مضاف ، حيث القمر قد استرخى أمام جيش النار المتململ من وراء الأفق الشرقي ، خلف التلال المحيطة ببلدة (جلبلاء) ، توقف يستطلعني ، أغمضت عيني كي أفقده الرغبة ، وجدته عصي الطاعة ، لا يرضخ لمطاليبي ، بينما كان يجبرني أن أكون أداة تحقيق أحلامه ، قبل أن يتوجه نحوه ، علمت نيته ، رأيته هذه المرة قادماً ليفعل منكراً خارج نطاق الحقيقة ، يريد أن يدخل عالماً منافياً لدستور الحياة ، اندفع كأعمى شعر بخطر مباغت ، كجائع سقط على صحن طعام فجأة ، مسكوناً بنار سلبت بشريته ، دعته سكران ، فاقداً صلته بالعالم من حوله ، أغمضت عيني كي لا أتجرع سم المشهد ، فجأة التصق بالجسد الواقف ، لم يكن يشبه الجسد الملتصق بي ، كان يمتلك أربع

قوائم قوية ، ظلّ مستغرباً لما يحصل له ، يدير رأسه ، يريد أن يستطلع أمر هذا الكائن الغبي الملتصق بمؤخرته ، يدغدغ مهبله بشيء دافئ نحيف وقصير ، ربما عاش حلماً واقعياً ، رغبة أن يطفيء نيران أحشائه كبقية إناث العالم ، وربما نشد تكوين جنيناً يلبط في رحمه ، كي يشعر بحيوانيته ، لذلك خلد للصمت ورضخ لمطاليب الجسد الملتصق بي ، وربما قرر أن يكون الجنين القادم خليط (سوبر كائن) (إنسا . . حمار) ، الجسد الملتصق بي لهث عالياً ، قبل أن يتراخى مشلولاً للذة دهمته بعد مثابرة ونزيف مائه ، حرر مشروب سعادته ، سحب نفسه ومشى إلى البيت كما مشى ليلة أمس ، كائناً بلا شعور ، يتأرجح كسكران ، شاعراً بأنه غرق في مستنقع نتانة بغيضة بغض الضالين .

***

الجسد الملتصق بي ، يمتلك ذاكرة خصبة ، جبل على النضال من أجل مواصلة نشيده الخالد ، متمرداً يواصل حياته ، هذه الحيوية الموجودة فيه ، دفعت أصحاب النظريات الحداثية إلى استلهام الطاقات المخزونة في القوام البشري ، وجدوا الجسد منبراً للعطاء الدائم ، منجماً لدرر تزيد رغبة العيش خارج أفلاك اليأس والكوابيس الخانقة لكثير من الناس ، صدمتهم الحياة بلا جدواها ، مثلما هو الجسد مستنقع السقوط الأخلاقي ، وجدوه ذخائر حية لا تنفد تنفع لضخ العزيمة في روح البشرية الحائرة ، بحثوا عن القدرات التعبيرية له ، إمكانية توظيف طاقاته

لترسيم آفاق جديدة للعقل ، وسبل جديدة لتأجيج الحياة بطاقات تمدها بزخم مضاف كي لا تهمد ، كما تفعل المؤسسات العلمية في بحثها الدائب عن مصادر أخرى للطاقات ، كون الطاقة المستخدمة من الوقود آيلة للنفاد ، بدأوا بتوظيف الطاقة الشمسية والمائية كبدائل ممكنة في مستقبل البشرية ، من هذا المنطلق ، وربما من باب الإبداع وثورة التحديث المتواصلة ، بدأت قوانين ملهمة تتشكل ـ رغم وجود نفور وتعارضات ـ وتعمل لتصهير الجسد لصالح الفكر ، الرقص رغم كونه نشاطاً رياضياً ومعرفياً وفر سبلاً أخرى لضخ الحياة بمفردات جمالية راقية ، خذ مثلاً (البانتومايم) التعبير الأكثر ملاءمة لروح العصر ، يمكنك أن تقول أشياء نافعة بالجسد ، طريقة تحويل الكلام إلى تلاوين وحركات (أوكروباتيكية) تنسف ترسبات البلادة وتركة المواريث البالية الموجودة في الجسد ، أنظر إلى العناكب كيف يغوي الذكر الأنثى ، يقوم برقصات تشبه رقصات (الأسبان) ، قبل أن تثار رغبة الأنثى وتندمج في اللعبة الخالدة للوجود ، كذلك الطيور وسائر الكائنات الأخرى ، ألم تر كيف يهز الكلب جسده كي ينال رضاك . . ؟؟

الجسد الملتصق بي ، خرج من فلكه ، جاوز حدود صفته ، وأسقط نفسه في دهليز الحيرة ، اكتشف أن الكلاب هي من اكتشفت التكلم بالجسد ، وجدت الرقص وتحريك الجسد يجلبان السعادة المرجوة ، تتحرك كنابض وتتلوى لكسب الود ، لذلك وجد اللعبة الجديدة لتخليد عروقه في بوتقة السعادة

متعة تضاهي تلك المتعة الليلية المنفلتة من أحابيل المفاجآت ، راح يبحث ليلاً عن أماكن تلك الأجساد الخالدة لقوالبها المسكينة ، وجد رغبته في محلها ، كون تلك الأجساد لا تحفز الجسد بعواقب وخيمة متوقعة مما يهمد من ضراوة الرغبة ، تسلل عبر الأماكن التي فيها حدائق ، هناك تستودع الناس حميرها ، تسلل إلى حديقة على طريق عام ، بعد تجوالات أتعبته ، كان هناك شبّان يجلسون قرب الحديقة ، وكلما تلصص وجدهم يغرقون في الضحك ، شعر أن الضحك يعنيه ، لابد أنهم رصدوه يحوم في المنطقة ، وربما استطلعوا أمره وما جرى له في الوادي ، ضاق شهيقه ، أبى أن يتقهقر ، تفاعلت فيه حمى التحدي للنيل منهم لإنقاذ كرامته وبريق كبريائه ، ظل مصراً على إنجاز رغبته ، حام وعاد ، وجد المكان خالياً منهم ، توقع منهم كميناً ، ربما فعلوا ذلك كي يلقوا القبض عليه متلبساً بالجرم المشهود ، ماذا يفعل لو حصل ذلك ، مرر الرغبة عبر مخي ، لم أرغب في تشجيعه ، ولم أمتلك فرصة لثنائه من عزيمته ، كان دائماً صاحب القرار ، توقع أنهم كادوا له كيداً محبوكاً ، سيجعلون العالم يضحك طويلاً عليه ، ظلت بذور التحدي تنمو طردياً مع درجة الخوف فيه ، أخيراً اقتحم كليث جائع قطيعاً صامداً ، وقف بظل الجدار ، يتلصص ، أحكم على توترات أعصابه ، أراد نأمة صادرة ، شهيقاً خافتاً ، لم يجد ما يفاقم هلعه ، تسلق الجدار وأسقط نفسه وراء الحائط ، وقع في كومة غائط طري ، لم يبال بسقوطه في أكوام براز الحيوانات

تجمعها النسوة وتجففنها كحطب للشتاء ، لم تحجمه الرائحة العنيفة ، كان محترقاً منتفضاً متوتراً ، وجد جسداً يرمقه ، تقدم والتصق به ، مارس نشاطه وفرغ من لظى الزمهرير ، جسد ليس كجسد الذي اقتحمه ، جسد بقرة ليست أنثى ، يا للمصيبة ، شعر أن النتانة التي أحاطته برعايتها ، بقذارتها بدأت تمزقه ، لم يحتمل نفسه ، مشى صوب نهر البلدة ، كان الليل عميقاً يغطي العالم بسواده ، وصل النهر ، هبط مع أسماله ، خرج وراح ينشف أسماله ، عادت له روحه البشرية ، ضيق أبدي يخنقه ، وجد نفسه يختلف عن سار أصدقائه ، فهم مثله يمتلكون أجساداً مترعة بالأحلام والرغبات ، لكنهم يمتلكون عشبة ترويض عواطفهم ، لم يشعر بهم أنهم يمارسون الطقوس الشاذة ، لم يرصد فيهم التكلم بكلام حول الشهوة ، كانوا يتحدثون عن أجساد الفتيات ، عن ساعات الالتحام بهن ، عن اللذة التي تساوي امتلاك مال العالم كله ، كان يتحسر في إصغائه ، كونه فشل في تجنيد أنثى في معسكر مراهقته ، رغم محاولاته ووقوفه الدائم على رصيف شارع البلدة ، عند مرور الطالبات إلى مدارسهن ، عند عودتهن ، لم يجد عين أنثى تستهدفه ، وجدهن يضحكن ، تصلبت عروقه من ضحكهن ، وجدهن يضحكن عليه ، ربما لا يمتلك سحراً جاذباً ، ربما لا يجيد فن صياغة الحب ، فالأنثى جريحة منذ ولادتها ، تحتاج لطبيب ماهر يرأب تصدعاتها المتواصلة في مجتمع منغلق ، مخنوق الحرية ، رغم فشله واصل إلقاء صنارة حظوظه في الأزقة ،

يخترق الدروب الضيقة بحثاً عن نظرة ود ، عن ابتسامة محبة تعيد تشكيل إنسانيته المعذبة بشهوة لا إنسانية ، نار تسكنه ، زلزال يروم زلزلته ، شيئاً فشيئاً فقد تلك الرغبة الشبابية فيه ، وجد الخروج ليلاً قد يوفر له ملاذاً مريحاً ، يخلصه من عذابه القدري ، صال وجال قبل أن يستفحل مصيره ويدعه مغامراً يقتحم بسخاء ممالك العماء .

***

الجسد الملتصق بي ، سقط في فخ الضحك ، كان الليل يواصل مشواره ، سار مخترقاً الأزقة ، كما يفعل في ليالي الشهوة ، عندما يبدأ جوفه بإيقاد نار العذاب المستمر ، سار سالكاً دروباً جديدة ، نشد جسداً يتشابك معه ، فقد صلته بالواقع ، تخلص من حزام الزمن ، صار في الحلم ، أنفه تدرب على اقتناص الشهوات الهاربة عبر مسامات الليل وجدران المنازل الواطئة ، لم يهتدِ لشهوة عاقة ، وجد حلمه الأخير ، واقفاً مستفزاً ، اقترب منه ، بادله تحية رغبة ، هز الكائن أذنيه ، ربما تلك هي علامات السعادة ودليل الترحيب .

الجسد الملتصق بي كان على عجالة من أمره ، خلاف كل الليالي ، عندما كان يجوب أحشاء الأزقة من غير التفكير بعمر صولته ، ومدى نجاحه في تحقيق حلمه ، لا مكترثاً بالتعب ، غير شاعر بلظى الجوع والظمأ ،ألتصق بالجسد الخالد للذهول ، وراح يطرد همومه عبر زفيره الصائت ، وقبل أن يشعر بغليون سعادته على وشك ضخ مائه في الظلام الدافئ ، يد مسكته

من رقبته ، همد وانتظر مصيره ، لم يحرك ساكناً ، وجد رجلاً يلقي القبض عليه ، قاده كحمار مطيع إلى باحة حوش ، تم ربطه بحبل متين ، سكب عليه جردل ماء مثلج ، بدأ الرجل بسكب الماء من (أنا) ، لم أبالي ببرودة الماء ، تعرف هذا جيداً ، الرأس يمتلك وسائل دفاع ضد كل الطقوس ، صاح الجسد الملتصق بي من فرط البرد الذي جمد أوصاله ، وخلد لصمت مميت ، خرجت أنثى من غرفة مظلمة . . قالت :

– يا له من حرامي غبي .

قال الرجل :

– ليس بحرامي .

– ولم قبضت عليه يا رجل . . ؟؟

– وجدته يعاشر الحمار .

– يا له من مسكين أما يخجل من نفسه .

– لو كان يخجل لتزوج وخلّص نفسه من جحيم صلبه .

– كلكم هكذا أيام الشباب .

– وماذا تعنين بكلامك .

– الكل يلتجئ للحيوانات أيام المراهقة ، ألم تكن تفعل ذلك قبل أن يرميك القدر علي .

– لا تقلبي ظهر المجن يا امرأة .

– ولم مسكته ، هل كان يسرق . . ؟؟

– ممارسة الشواذ أشد من بلاء السرقة .

– أنت أيضاً كنت تمارسه أحياناً .

– حين تمتنعين عن معاشرتي أفقد صوابي قبل أن أجد منفذاً لقيء جحيمي .

– ربما هو أيضاً غضبت زوجته منه فخرج يبحث عن شقوق كي يتخلص من جحيمه .

– ماذا نعمل به .

– أطلق سراحه . . ؟؟

كان الجسد الملتصق بي خاضعاً لغيبوبة ، مرتجفاً ، وكانت المرأة واقفة مشتعلة غيظاً ، الرجل الذي أمسك به يتحرك من غير توقف ، فجأة اقترب منه ، أنهضه وساقه إلى الخارج ، وقبل أن يحرره صفعه بغضب وقذف كومة بصاق سقطت على وجهي (أنا) ، وحين تحرر لم يترك لحظة واحدة تنفلت منه ، تسارع في خطواته هارباً لا يدري أين يقود نفسه ، ولم يمهلني فرصة كي أصحح مساره .

الجسد الملتصق بي لم يكن يمتلك وعيه ، كان أسير مباغتة قفلت ذاكرته ، بدا كائناً بليداً ، لم يكن يدرك أنه كان بين يدي تلك الأنثى الليلية التي التصق بها على السطح ، ربما المرأة عرفت ذلك لذلك حررته ، ففي ذهنها ظلت صولة تلك الليلة واحدة من ألذ صولات لياليها ، لابد أنها عرفت الجسد الملتصق بي ، حررته كي يفهم القضية ويعاود المجيء في الليالي التالية ، أعطته حريته مقابل منحها تلك السعادة الليلية ، وربما المرأة ندمت لأنها نسيته بعد تلك الليلة ، وظل يجيء ويحوم قبل أن يفقد صمام أمان عاطفته ويجد ذلك الكائن المبتلى في حياته

خير قمامة تستوعب قيحه ، هذا التأويل على ما يبدو أكثر قرباً من الحقيقة ، ربما خافت أن يتحول المشهد إلى قيامة خاطئة ، كون الفضيحة في البلدة ممكنة ، سريعة كالنار في هشيم يابس ، لذلك استيقظ فيها هاجس السيطرة التامة على مستودع عواطفها ، خشية الانفلات وحدوث ما يحدث ، ربما ندمت لأنها أضاعت فرص نادرة تعوض خساراتها الجسدية ، كونها كانت على ما يبدو ، من خلال الحوار المتصادم مع شريك حياتها ، محرومة من فاصل الإشباع ، كان يجب أن تنام بمفردها طالما الجسد المكلوم يحوم في منطقة عذابه ، فهي امرأة لم تكن على وفاق تام مع رجلها ، هذا ما فسرته من خلال تلك المشادة الكلامية بينها وبين بعلها .

الجسد الملتصق بي شهوته أفقدته بصيرته ، كان يجب أن يدرك سر تحريره من قبل المرأة ، دليل واضح على أنها تمتلك رغبة ضارية ، ورغبتها غير متوافقة مع رغبة بعلها ، ونسي أيضاً أن البيت الذي ساقه الرجل إليه كان البيت نفسه الذي مارس نشاطاً فوق العادة على سطح إحدى غرفه الطينية في ليلة سعيدة ، غابت كل الأشياء النافعة من تضاعيف عروقه جرّاء المباغتة ، لم يرعوِ ، فهو جسد غير خاضع لقائد يفكر ، مثل سفينة تائهة في عرض بحر هائج من غير ربّان ، مثل طائر يطير فقد فجأة عينيه ، ظل يبحث عن مكان يرد له الاعتبار ، أراد أن يعود لمكان اعتقاله ، شممت الرائحة منبعثة من عروقه ، ربما تغابى ، كان ضغط الرغبة يقوده ، فجأة قرر أن يهبط من الشارع

إلى أسفل الجسر الكونكريتي ، هبط وانغمر مجنوناً فاقداً أحاسيسه الواقعية ، منهمكاً في عادته العلنية ، تسمونها أنتم عادة سريّة . . !!

***

كثيرة هي مصائب الجسد الملتصق بي ، لا يتورع عن خرق حقول الألغام من أجل شق يحرره من مياه عذابه الدائم ، جبل على نار الرغبة فجأة ، بعدما أدمن التعامل مع الكتب ، حاولت أن أعيد بناء هيئته العصبية ، أن أروض سكناته وأمنحه طاقة كامنة تهيمن عليها أعصابه ، كي يتخذ شكلاً مناسباً لعصره ، كان يمشي صوب كل مكتبة ، يدفع نقوداً ويحمل ما يريد من كتب ، كنت فرحاً كونني سأمرر الكلمات إلى مستودع مخي ، قبل أن أهيء على إيقاعات الخبب مستلزمات تشكيل هيئته البشرية ، أعني حيوانيته السادرة ، كونه كان متمرداً لا يصغي لوخز الضمير الذي أشعل في ربوعه قناديل الحقيقة ، ناشطاً ملهماً كان وهو يلقي بالكتب بعد تقليب منظم لأوراقها ، لكنه تبدل فجأة بعدما التهم روايتك (قفل قلبي) *ولم يعد يلازم غرفته ، صار يخرج في أوقات متأخرة من الليل ، يتسكع هائماً كما يتسكع الشاعر ، بحثاً عن كلمات تؤرقه بغية التخلص من فكرة مقلقة ، لم أرصد فيه ما ينافي طبيعته ، كان همه إخماد حرارة نامية بدأت تنهض فيه ، تقلقه ، تعذبه ، تدفعه خارج البيت من غير الانتباه للوقت ، خال التجوال رياضة عقلية وجسدية نافعة ، ستروض أفاعي القلق المتوالد عبر عروق

جسده ، لكنه سقط فجأة في بئر أوّل رغبة شبه مباغتة ، كان هائماً يصطلي بلظى جوفه ، قبل أن يدرك البيت ، سمع كلمات فوق الذوق ، كلمات أنثى تتأوه ، وخوار رجل يفح كبقرة متخومة بالطعام ، ظلّ بظل الجدار تتشرب مسامات جسده المستفز عصير الرحيق المنسكب من وراء نافذة بائسة الإحكام ، توترت أعصابه ، فقد الصلة بي ، وبدأ يلعب بيد خجولة ، بدأ يلهث بأنفاس مفضوحة ، فجأة تراخى ، نازفاً آهة طويلة ، انتزع نفسه من مسمار الغيبوبة وراح يلهث صوب البيت ، بالطبع لم يشعر بالنوم ، وجد نفسه مستفزاً ، يعيش في عالم لذيذ ، السعادة الموجودة فيه مجانية ، من غير دفع وعطاء ، يمكنك أن تعيش في قلب الفرح ، من غير جواز عبور أو سيطرات مانعة ، دافع يدفعه ، يلقيه خارج حساباته الليلية المألوفة .

قام من فراشه ، وجد نفسه في لحظة فيضان عارم ، شيء يزلزله ، تسلل إلى الليل ، توجه نحو تلك البركة السعيدة ، وقف لصق الجدار ، قرّب أذنيه من النافذة ، رائحة أجساد فاقدة صلاتها بالعالم ، شخير مبحوح ، دفقات حرارة تهب ، أراد فرصة أخرى ، أصاخ السمع ، الليل يرعب العالم بنباح كلاب لا تسكت ، نهيق حمير متراسل ، أصوات غريبة ، مبهمة ، مجهولة المصادر تتوزع على ليل البلدة ، لم يكن هناك حوار دافئ ، أو صراخ أجساد متشابكة ، كان متوتراً لا حاجز يمنعه من مواصلة لعبة علنية وفرت له خذلاناً جميلاً ، مارس نشاطه مستدرجاً حوارات مستنسخة ، خالية من وخزات التعذيب

السعيد للمشاعر ، نزف روحه وعاد ليستكمل المشروع الروحاني الجديد ، هناك في فراشه خلد لتدقيق كامل للمشروع ، وجد السعادة مطلباً حيوياً له ، قر أن تلك اللعبة نشاط ذهني يوفر له مستلزمات السعادة الأبدية ، لم يجد الليل في تلك الليلة راحة للأجساد ، بل وجد تشكيل العلاقة الدائمة مع لعبة الأقدار الضائعة مطلباً يخدم لا يهدم ، كون الشحنات الكهربائية تتوالد بتسارع داخل أوعية الجسد ، مارس النشاط المعلن أكثر من خمس مرات ، أظنها ست مرات تحديداً ، وكان جسده يرتقي سلّم السعادة ، لذلك وجد اللعبة سراً غير مكتشف من قبل الأطباء ، كونهم كانوا يطلقون كلامهم من خارج نطاق الخدمة ، أعني من غير تجريب ، لو جرّب أي طبيب ذلك النشاط العلني الذي تسمونه السري ، وتمعن عميقاً في تضاعيف السعادة المتوالدة ، لربما نسف كل الأفكار السلفية لأطباء ولدوا في أزمنة مظلمة ، لذلك جاءت مكتشفاتهم العقلية والتي تخص الأجساد ، مجرد دعابات متخيلة ليس غير .

***

خذ مثلاً النساء تحديداً ، إناث الوقت المحتضر ، إناث هذه البلدة متذمرات ، غير راضيات عن أنفسهن ، أعصابهن في ذروة التأجج ، غير راضيات عن قسمتهن ، يلعن في كل لحظة اليوم الذي تزوجن فيه ، رجالهن مجرد دمى تفتقر إلى مبادئ سعادة المرأة ، يلمن أنفسهن كونهن اخترن بالخطأ شريك حياة هامداً ، سقطن بمحض إرادتهن في فخ المصير العاق ، كونهن

أعجبن بالأجساد ، وجدن أجساداً جميلة طويلة عملاقة تمشي ، قلن : هو ذا الشريك المناسب . . !! قلن : هو ذا الرجل المزحوم بالرغبات غير المنتهية . . !! وافقن وسقطن في برك ضحلة ، أزواج غير مؤهلين لمد أغوارهن بمطر السعادة ، تلك هي أسباب الفشل البشري ، عبر كل العصور ، للوصول إلى سر الحياة الناجحة ؛ لأن العصور كلها تراكمات أخطاء ، وكل عصر يأتي لا ينسلخ من عباءة القرون السالفة ، لو أصغوا للرأس لكانت الحياة الآن الفردوس الخالد ؛ لأن العقول التي قالت الحكم ونشرت دساتير الوعي ، وعبدت ممرات ومسالك الخير لم يولوها الاهتمام الواجب ، كانوا يقولون عن الأدباء والحكماء والفلاسفة : مجانين . . !! وكانوا يقولون عنهم : فارغين . . !! أحرقوا كتبهم ، زجوا بهم في الزنازين ، قتلوهم ، شردوهم ، لذلك ولدت الحياة خاوية من الينابيع الصافية للسعادة ، ذلك لأنهم انساقوا تحت رهبة الأجساد العملاقة ، وجدوا فيهم أساطير ستقدم لهم السعادة ، وما دروا أن وهج السعادة لا يشع ما لم يحصل اتحاد خالد ما بين الرأس بيت الخلود ، والجسد بيت الهموم .

***

مرة سمعت امرأة من هذه البلدة تقول لبائع هدايا وهو يسألها لأخذ وردة لزوجها ، كون اليوم الذي جرى فيه الحوار (يوم الحب) ، لم تخجل المرأة المثقفة ، كانت معلمة ، تربي أجيالاً ، قالت : عاب زوجي . . !! كيف نأمل الخير من امرأة

متعلمة أن تهيء جيلاً يعي الأخطاء ويصلح الفساد البشري المتراكم ، إذا كان ردها عنيفاً وأمام بائع جاهل لردة فعل نفسها تجاه شريك حياة ربما ضحية لظروف مماثلة ، أنا أريد إن أقول لك أن إناث الوقت مجردات من القائد الحكيم لعربة رغباتهن ، فيهن مقدرات السعادة الخالدة ، لكنهن سقطن أو أسقطن أنفسهن تحت سطوة الجسد ، لو أصغين لصوت رؤوسهن لربما وجدنا نسبة السقوط الأخلاقي في البلدة وبلدات العالم نسبة ضحلة من المعيب أن تذكر .

***

الجسد الملتصق بي ، سافر عميقاً صوب النبع المتوهج حديثاً ، راح يصول ويجول عبر الشقوق ، شق يلقيه في شق ، ناسياً رأسه ، أعني الومضات التي كنت أبعثها في ربوع جسده ، لاغياً كل الأشياء الروتينية لتيسير الحياة ، النوم والعمل والغذاء ، ترك مدرسته ، ترك غذائي ، أعني القراءة وحب الكتب ، عشق عالمه المتنقل ، التجوال النهاري تحول إلى تجوال ليلي ، أعصابه ملتهبة ، أشغلني لتحقيق مكاسبه الشهوانية ، ومضت أيامه كلها كفاح ومثابرة من أجل إخماد حرائق أعصابه ، تسمونه أنتم شهوات . . !!

***

سكت فجأة وأغمض عينيه ، وجدت بضع قطرات دمع انحدرت من بين الرموش المنطبقة ، مسحت الدمع وبدأ يشخر ، في تلك اللحظة تصاعد من مكبرات الصوت للمساجد النداء الساحر لأداء صلاة العشاء ، وضعته في الكرتون ورفعته إلى فوق المكتبة ، أغلقت الباب وهبطت متوجهاً نحو المسجد ، كنت مسكوناً بنشيد متفاقم يضج في رأسي ، وجدت مشاهد كثيرة تتفاعل وتضغط كي أكتبها ، تلك الحمى التي تدفعني أكتب من غير هوادة أو هوان ، قبل أن تهمد الرغبة ويموت فعل الكتابة ، وغالباً ما كانت زوجتي سبباً دائماً لوقف مشاريعي ، تذكرت القول السائد (وراء كل عظيم امرأة) ، قلت وراء كل تعيس امرأة أيضاً ، فالرأس سرد لي أموراً لم تكن حاضرة في كل كتاباتي السابقة ، رغم وجود دوافع تجعلني أتهجم على الكثير من صفات إناث الوقت ، فإناث الوقت رحن يفضلن طرح أجسادهن على مسارح الواقع ، من خلال ارتداء ملابس رجولية ، أليست تلك أدلة على سقوط الحياة في بركة التمظهر الزائف ، والتملص من منابع الحكمة ، أعني من سلطة الرأس ، آه لو عرفت النساء لم همدت الرغبة الذكورية في العالم أجمع ،

أنا واثق أن الجواب لا يستطيع أن يكتشفه أحد غيري ، ربما يهذون ويتكلمون كثيراً لكن الجواب واضح من غير لف أو دوران ، سبب خروج الإناث من قالبهن المعروف ، أي أيام كن متلفعات غير مكتشفات مثل قارة كنوز غامضة ، كانت العيون تطارد هذا الغموض وتتفاعل الشهوة طردياً ، واليوم تعرت المرأة وأصبحت كالرجل ، صارت في عيون الرجال مجرد صورة معروفة أو بالية ، مثل طعام شائع معروف الطعم والفائدة ، هذا الخروج دمر الذوق البشري الفطري ، مما عبد الطريق لخلافات وتمردات عند الكثير من النساء ، لقد أيقظ في الكثير من الأسئلة ممكن إثارتها عبر روايتي القادمة .

وصلت المسجد ، وجدت رأسي مزحوماً بأشياء كثيرة ، شتت من تركيزي ، لا أعرف كم كنت مندمجاً في صلاتي ، أم كنت مشغولاً بالتفاعلات الروائية في ذهني ، خرجت من المسجد ، متوقعاً أنني سأسهر الليل على حكايات مثيرة ، وتوالدت في رغبة التجوال ، تلك التقليعة الشبابية التي كانت بدايات موفقة لبناء هرم الأدب في ذاتي ، كنت أتجول بين الأزقة ، تحت المطر ، لا أعرف لم ، هناك حرارة تتوالد في أعصابي وتدفعني إلى المشي في كل طرقات البلدة ، فكرت أن أعيد النشاط الخامد ، لكن سطوة قضيتي منعتني ، فالرأس لابد أن يعرف موعد قدومي ، سينهض وينادي ، وربما تكتشف زوجتي مجمل القضية ، هناك دافع آخر ، هاجس فقدان الأمن في البلدة ، ففي الليل يكون الماشي مرصوداً من قبل عيون

تبحث عن ماشين غفّل لإلصاق تهم باطلة بهم ، من أجل الفوز بقليل من الدولارات ، الأمر الذي دعا قيادة أناس إلى السجون كانوا ماشين عن طريق المصادفة بطرق حصلت فيها انفجارات ، رغم وجود قناعة أن هناك من يتأهب لزراعة عبوة ، مترصداً مرور ماش كي ينأى بنفسه عن التهمة .

فجأة تقدم مني شخص غريب ، لم يكن من روّاد المسجد ، وجدته جريئاً ، تقدم مني . . قال :

– أحمل رسالة لك .

– ممن . . !!

– لا يحق لك أن تعرف .

– أنت تعرف من تخاطب .

– أعرفك .

– لا يجرؤ أحد في هذا الزمن على الوقوف بوجهي .

– نحن نقف بوجه الجميع .

– الكلاب وحدها تجابهني أحياناً ، لكنها تتخاذل لصلابتي .

– أتسمينا كلاباً .

– كل من يعترض سبيلي كلب ابن كلب إلى آخر الدنيا .

– أنت تتجاوز حدودك ، ستعرض نفسك للقصاص .

– ومن قال إني أخاف القصاص .

– نعرف أنك جريء ومحظوظ ، ولكن عليك أن لا تتجاوز علينا .

– أنا أتجاوز على كل عاق ، وكل ظالم ، وكل متجاهل للحقيقة ، وكل كلب ينبح بوجه النور .

– لدينا منهج أخلاقي لتغيير لون الحياة .

– حين تكف الكلاب عن النباح ستغدو الحياة فردوسنا المفقود .

– ليس لدي وقت أطيله معك ، جئت أبلغك أن تكف عن كتابة روايتك القادمة .

– وهل أنت شرطي رقابة .

– أنت تحاول تعريتنا .

– أنا أعرّي المنحرفين .

– كتابك القادم يمسنا إيّاك أن تنشره .

– أنا كاتب البلدة ، يسمونني مؤرخها ، لن يوقفني أحد عن نشر أي موضوع مهما كانت العواقب .

– لدي تفويض أن أساومك ، سأعطيك المبلغ الذي تجنيه مقابل نشره .

– وهل تظن أني أبيع أفكاري ، إن ما أكتبه ليس ملكي ، أنا فقط أنقل أمانات إلى الأجيال اللاحقة .

– هناك مبلغ كبير مرصود لك مقابل التوقف عن كتاباتك الجارحة لمنهجنا .

– إبحث عن شعراء تعساء ، إنهم متأهبون لبيع ما يكتبون .

– أنت الوحيد القادر على ملاحقتنا ، نحن نتابع كل

كتاباتك ، إنها لا تعجبنا ، بل تضعفنا .

– تعرفني جيداً .

– ربما لن نرحمك كما كنّا نفعل .

– الرحمة هبة ربانية .

– كلام أخير لك ، روايتك (بعل الغجرية) ، والتي تروم نشرها كما أشرت إليه أمام زملائك ، يمكنك أن تغير الفصول التي تمسنا قبل نشرها ، هذا ما نبغي وعش حراً سالماً محترما .

– روايتي تحت الطبع ، لن أحذف حرفاً واحداً منها .

– هذا كل ما لدي ، فكّر قبل أن تتغير نظرتنا إليك .

استدار ومضى ، لم أضع فرصة واحدة للتفكير بطارئ جاء يشيع الذعر ، خلته شخصية عاقةأقتحم فصلاً من فصول رواياتي وضاع في مزبلة النسيان .

عدت ودخلت البيت ، وجدت زوجتي أعدّت لنا صحني فاكهة . . قالت :

– الفاكهة تمد ذاكرتك بذكرياتنا الجميلة .

– آه . . دائماً تزجينني في قلب حبنا .

– يجب أن نستعيد تلك الأيام القديمة كي يستمر حبنا كما ولد .

– حبك كتاب محفوظ في ذاكرتي ، كل يوم أتصفحه وأختار منه المناسب لكتابة رواياتي .

– لكنك تحشر رواياتك وقصصك بالكلاب أيضاً .

– الكلاب حيوانات غريبة جداً بالنسبة لي أو هكذا أشعر بها .

– وما الغرابة فيها .
– كانت مصدر رعب لكثير من لقاءاتنا .
– كلاباً حيوانية كانت .
ـ وبشرية أيضاً .
– مهما حصل حققنا وحدتنا واندمجنا في بيت واحد .
– تلك المواقف لن أنساها .
– دعنا من تلك المواقف ، هيا شاركني الفواكه كما كنت تفعل أيام الحب .
– أنا بحاجة إلى فاكهتك أنت .
– يجب أن لا نغير العهد المبرم بيننا ، كما كنا نفعل أيام الليالي السعيدة ، كنا نأكل الفواكه قبل أن ننهمك بتناول فواكه عواطفنا .
– آه . . يا لك من حبيبة فوق العادة .
– كلا . . لست كما كنت ، الحياة تبدلت وتركت فينا أشياء غير حميدة تولد خلاف أمزجتنا ، كنت مفتوناً بقوامك الرشيق ، كنت أنظر إليك وأنت تمشي ، وكنت أتخيل أنني بين أحضانك بدلاً من الكتاب الذي كنت تحمله .
– واليوم لم تعد تلك الرغبة موجودة .
– لا أعرف أعصابي هي التي هيمنت على رأسي ، كل دقيقة هاجس غريب يدفعني أن أعمل شيئاً ، أن أصرخ ، أن ألم الدنيا على نفسي .
– مجنونة .

– ليتني كنت مجنونة لتخلصت من عذابي .
– وماذا كان بوسعك أن تعملي .
– أكتب روايات .
– وما علاقة الرواية بالجنون .
– الرواية بحد ذاتها نتاج عقل ملوث بالجنون .
– قد يكون الجنون دافعاً لقول أشياء خارجة عن إرادة العقل ، الجنون يمنح الشجاعة في القول .
– ثق يا سالم . . كل كاتب مجنون .
– وأنا منهم .
– بل أكثرهم جنوناً .
– يا لها من تهمة غير مقنعة .
– اليوم اكتشفت جنونك الحقيقي .
– كيف . . ؟؟
– بدأت تكتب وأنت تصرخ .
– ما زلت تتهمينني بهذه الخطيئة .
– لا وقت للجدال هيّا كل .

تناولت بعض الفاكهة ، نصف موزة ، ونصف تفاحة ، ونصف برتقالة ، والتهمت هي الأنصاص الأخر ، نحت صحني الفاكهة جنباً وألقت برأسها على كتفي . . قلت :

– لنترك هذا لليل .
– تعرفني جيداً عندما تهيج عواطفي لا وقت أمتلك للتأجيل .

– ربما الأطفال يداهموننا .

– غرقوا في نومهم المبكر .

رضخت لمطلبها ، تمددنا داخل المطبخ وعملنا بحرارة ولهفة ، وحين انتهينا . . قالت :

– اشتقت لعادتنا المنسية .

– آه . . يا للمصادفة لقد خطر ببالي تواً .

– هيّا لنستحم معاً .

قمنا وتوجهنا نحو الحمّام ، أجلستني وراحت تدلك جسدي بعنف ، سبحنا وهبطنا . . قالت :

– أرجو أن تنام باكراً لا تسهر طويلاً .

– حسناً حين أنهي فصلاً واحداً من الرواية سأهبط إليك .

طبعت قبلة على خدي وصعدت إلى غرفتي ، كانت لدي رغبة متوقدة لكتابة فصل مستقل ، فكرة طرأت بذهني أن أغير منهجي في الكتابة ، لأتمكن على أقل تقدير من المواصلة وعدم ترك الرواية في نقطة ما ، بسبب طارئ قاتل ، كون الفكرة الجديدة ولدت جراء تلك التوقفات المتواصلة لي أثناء الكتابة ، قلت أكتب فصلاً مهما كان موقعه من النص ككل ، فيما بعد أعيد ترتيب الفصول وفق التسلسل المستحق ، جلست خلف الطاولة ، في تلك اللحظة ندهني صوت مخنوق ، تقدمت من المكتبة ، أنزلت الكرتون وفتحته ، كان يرمقني بغرابة . . قال :

– كان يجب أن تأتي بسرعة ، أعطيتك الفرصة الكاملة لأداء فريضة صلاتك .

- كنت مشغولاً لبعض الأمور .
- لا تكذب .
- أكذب .
- أعني لا تحاول تمرير أوهامك علي .
- حسناً انشغلت مع زوجتي بتناول الفواكه .
- أعرف .
- تعرف ولم تسأل .
- أنت تكرر هذه اللازمة في كثير من كتاباتك .
- آه . . حياتي سلسلة متصلة من الحكايات ، تتداخل أحياناً وتتلبسني في حياتي العملية .
- كلنا روايات لم نكتب بعد ، حتى لو متنا هناك من يأتي ويكتبنا روايات .
- معلوماتك الأدبية مرموقة .
- ألم أقل لك ، كان الجسد الملتصق بي يمدني بكل ما تكتبه ، وكنت أشرب كلماتك كما أشرب سائل الغذاء المذاب في الدم .
- ألم يجرب صاحبك الكتابة ، فمن يقرأ كثيراً يغدو ناقداً أو كاتباً .
- الجسد الملتصق بي ، تنامت في أعصابه حمى غريبة ، راح يتجول في الطرقات بحثاً عن مدينته الفاضلة ، فسقط في مدينة الرذيلة .
- نحن أيضاً تسكعنا ، ولكن تسكعنا كان من أجل

استكمال المشروع الأدبي المذاب فينا .

– هو أيضاً خرج من أجل مشروعه ، لكنه انحرف لقوة أعصابه وسقوطه في شرك الرذيلة .

– آه . . كلنا نسقط أيام تسكعاتنا .

– تلك هي فلسفة الحياة ، الظروف هي التي تختار ضحاياها .

– حدثني عن مصيبتنا .

– أية مصيبة يا حضرة الأديب .

– مصيبتي معك ، كيف السبيل لوضع نهاية مقنعة لكلينا .

– لا تفكر بهذا ، النهاية تأتي من غير تخطيط ، فالروايات العظيمة هي التي تجبر نهاياتها على عقلية الكاتب عند الكتابة .

– حسناً ماذا بقي عندك من كلام .

– يبدو أنك على عجالة من أمرك .

– الرواية حرب ضاغطة ، يجب أن أهيّء دفاعاتي الصلبة قبل أن تباغتني وتنام .

– فشلك المتواصل آن أن تستثمره الآن .

– حين تتركني يمكنني أن أبدأ مشروعي المتعثر .

– حسناً . . حين أنهي ما لدي من كلام نافع يمكنك أن تبكيني ، (عفواً) أعني أن تسكب دمع قلمك على خدود الورق لي أو علي .

– عرفت كل شيء عن الجسد الملتصق بك ، إلاّ كنيته ، ربما ستعرقل سير الموضوع .

ـ أنت لم تعرف سوى نصف قضيته .

– وما هو نصفه الآخر .

– ستعرف .

– لا يهمني أن أعرف ، ربما أنا من سيضع النصف اللائق به .

– عندها ستكون رواية مفتعلة .

– كل الروايات تكاد تكون مفتعلة .

– هذا سبب فشلك المتواصل لتكملة رواية واحدة من رواياتك النائمة تحت أكداس الغبار .

– هل بوسعك أن تسمعني البقية .

– ليس قبل أن يصفو ذهنك .

– وما أدراك بما في ذهني .

– وجهك يبرز ما يسكنك .

– أنا دائماً أبدأ الليل بشيء من القلق .

– لكنك تبدو مسكوناً بخوف كبير .

– خوفي ولد جرّاءك .

– حين أنهي كلامي سيزول خوفك الجسدي .

– وهل هناك أنواع أخر من الخوف .

– ربما .

– حسناً هات ما عندك من كلام مفيد قبل أن تخلد

لنومك الأبدي .

سكت ، وجدته يغمض عينيه ، رغبت أن أغلق فم الكرتون وأرفعه إلى مكانه كي أخلو للحظة صفاء ، باغتني من غير أن يفتح عينيه :

– ليس بعد ، إني أسترجع الشريط الشائك الموجود في مخي .

– حسناً لي مزاج رائق ، بإمكاني سماعك حتى الصباح .

– كلا . . ما عندي لك محدد الوقت ، أنت فقط تصغي ، دع ذهنك يكتب .

– حسناً . . سأفتح مخي جيداً كي لا أضيع كلمة واحدة يحررها لسانك .

***

هل كنت السبب القاتل لما حصل له ، القانون الوضعي سيلقي باللوم الكامل على الرأس ، باعتبار الرأس مصدر الإلهام ومستودع العقل ، مركز النور لو أخذنا بنظر الاعتبار الجسد موطن النار ، والرأس يحوي المخ ، مرايا النشاط البشري ، وكما تظن أنت أيضاً أنّه الربّان الحكيم لسفينة باذخة يطلق عليها (جسد) .

قد أكون متهماً كوني أمرر له المحسوسات المثيرة المتعلقة بالنشاط العاطفي ، لكن كنت دائماً أفرز سائل الرهبة وأضيء له في نهاية كل رغبة الضوء في فانوس الرعب .

قلت لك إن نشاطه الجسدي عبر قوة أعصابه ، كان يميت كل بادرة تخويف أبثها في ثنايا عروقه ، لذلك تركت حبله على غاربه .

***

الجسد الملتصق بي ، وجد حائطاً يمكن اجتيازه من غير بذل جهد ، كان حائط مدرسة بنات ، كان يمشي عائداً إلى منزله ، لم يكن قد ابتلي بنار الجوف القاتل ، رغم مواصلته قراءة الكتب المثيرة ، رأيت بنتاً واقفة تمرر عينيها إلى نقطة غير

مرئية ، الجسد الملتصق بي ، توقف ، دعاني أستطلع أمر البنت الواقفة تنظر والبسمة لا تفارق شفتيها ، كانت ترفع يديها وتهبطانها بشكل لا مدروس ، وربما كانتا تنثران ما في لسانها من كلام ليس بوسعها إيصاله ما لم تستعن بهما ، ربما نسيت أين تقف ، كانت على ما ظهر مسكونة بحمى عاطفة عنيفة ، نقلت له خبر البنت ، وجدته ينتفض ، كجسد منحور ، مشى ووقف قرب جدار راغباً بالتقاط الصور الممكنة للمشهد عبر عيني ، من زاوية ما ظهر جسد شاب يتبختر في مشي متكلف ، اقترب من البنت الواقفة وراء الحائط ، تبادلا بضع كلمات سريعة ، لم يكملا الحوار .

الجسد الملتصق بي خرج يمشي نحوهما ، الولد ذاب في لحظة ، والبنت وقفت ترتجف ، وقف الجسد الملتصق بي قبالتها ، كانت عروقه نابضة تقذف عرق شهوته . . أجبرني على القول :

– سأحكي لأبيك ما رأيت .

توسلت البنت ، كادت أن تبكي . . قالت بصوت مختنق :

– أطلب أي شيء مني سأفعله لك ، أرجوك أبي حقير سيذبحني .

– لا . . يجب أن أخلص البلدة من البنات العاقات ، أنت تستحقين الرجم في الوادي .

– أرجوك ، أي شيء تريده أنا أعطيك .

– حسناً . . أنا لا أريد منك شيئاً ، أريد منك أن تأتي إلى البيت ورائي .

– أنت تريد أن تورطني ويذبحني أبي .
– لا تخافي . . لدي كلام خاص أقوله لك .
– ومتى . . !!
– الآن . . !!
– لدينا درس أخير ، سآتي عصراً .
– سأنتظرك إذا تأخرت هيئت رقبتك لسكين أبيك .

انسحبت البنت من وراء الحائط ، وعاد إلى البيت مزحوماً بشيء لا مألوف ، لم يتناول غداءه ، بحث عن فكرة تخدمه لإخراج أمه من البيت ، وجدها نائمة ، أنهضها . . أجبرني الكذب :

– خالتي متعبة .
– من قال لك هذا الكلام .
– رأيت امرأة من القرية أخبرتني بذلك ، وقالت هي تطلب منك الذهاب ليها .
– حسناً ، غداً سأذهب إليها ، أنا مشتاقة لرؤيتها .
– لكنها طلبتك اليوم ، وضعها مقلق .
– الساعة تقارب الواحدة من بعد الظهر ، ربما لا توجد مركبات في كراج النقليات .
– سأرافقك إلى الكراج .
– لم تأتي معي .
– لدي عمل لا ينبغي تركه .

رضخت أمّه للكذبة وضغط إلحاحه ، خرجت من غير أن

يرافقها ، ذلك الخروج كان النقطة الحساسة لتحول حياته التالية ، لم يكن يعلم أن الكذبة التي حشرها على لساني كانت مفتتح لمآس لاحقة ظلت تلازمه حتى لحظة فصلوني عنه ، كانت أمّه مرتبكة ، تتناهبها الظنون والهواجس ، مشغولة بأختها ، ابنها لم يسبق أن قال لها مثل هذا الكلام ، توقعت أن القضية أكبر مما سمعت ، لابد أنها ماتت وأراد الولد أن يخفي الخبر عنها ، فهي تعرف أن أختها تعاني من مرض مزمن ، ضغطها في ارتفاع دائم مع صعود نسبة السكر في دمها :

– كانت في منتصف الشارع لحظة أرادت أن تجتاز إلى الجهة الأخرى ، كانت مشغولة الذهن ، لسانها يهذي ، فجأة وجدتها تحت فرامل مركبة حوضية سريعة . (هكذا وصف شاب الحادثة) .

الجسد الملتصق بي كان نائماً ، وصله الخبر عبر طرقات غير عادية على باب البيت ، نهض ، خال البنت التي رآها تتكلم مع شاب غريب ، أتت حسب الموعد المبرم .

كانت امرأة جارة . . صاحت بوجهه :

– أمّك ماتت . . !!

لم يع صرختها ، ظل يتأمل الفراغ الحاصل بينه وبين فمها المفتوح . . َصاحت مرة أخرى :

– أمّك سحقتها سيّارة .

– وجد نفسه مجنوناً ، خرج يركض نحو الشارع ، وجد كل شيء يخلد للسكون ، ليس هناك أمّه ، ليست هناك مركبة ، أو

ناس يتجمعون ، عاد وطرق باب تلك الجارة ، خرجت المرأة :

– أين أمّي .

– في المشفى .

– المشفى .

– إنهم يشرحونها الآن .

أستعاد وعيه ، فهم الأمور كلها ، هرول ثانية نحو المشفى ، وجد غرفة التشريح مغلقة ، وجد طبيباً واقفاً في باب غرفته ، تقدم منه . . قال :

– دكتور أمّي .

ضحك الدكتور . . قال له :

– دكتور أمّي . . ليست أمّك أو أميّا يا معتوه .

لم يمتلك لساناً يوصله لغايته ، عاد متعباً ، وجد البيت يغص بنساء الجيران ، وجد رجال الزقاق متهيئين لإنجاز مراسيم الدفن ، فهم القضية كلها ، بكى قليلاً قبل أن تربت على كفتيه كفوف تواسي وتمنحه شعوراً بالصبر ، ألقى سبب موت أمّه على تلك البنت ، كونها تسببت في خسارة أمّه ، قرر أن ينتقم لرحيل أمّه .

بعد أيام وجد البنت تمشي نحو مدرستها ، أوقفها بصرخة ، ارتعبت البنت وهي تقف . . صاح :

– قتلت أمّي .

– وما دخلي أنا ، أمّك كانت مجنونة .

– ستدفعين الثمن غالياً .

– أرجوك . . جئت في الموعد المحدد وجدت البيت يغص بالناس .

– حسناً يجب أن تتبعيني .

– ولكن المدرسة .

– تفو على المدرسة ومن أسسها .

– لم لا نؤجل هذا إلى وقت آخر .

– لن أؤجل ذبحك لحظة واحدة .

– حسناً سأتبعك ولكن فقط ربع ساعة لدي امتحان في الدرس الثاني .

لم يفه بشيء ، سار ومضت تتبعه ، اخترقت أزقة خانقة ، دخل البيت ودخلت وراءه ، وقفت أمام باب الغرفة ، وجدته يرتجف . . تشجعت :

– قل كلامك ليس لدي وقت .

– أنا أحبك .

– أمن أجل هذا دعوتني .

– كلا .

– هل ممكن أن تكتب ما عندك في ورقة لي .

– لا أحبذ كتابة الرسائل .

– وهل تريد جوابي .

– كلا .

– أنت متعب ، تحتاج إلى راحة .

– هل تمنحينني الراحة .

- الراحة ليست شيئاً يمكن إعطاؤه لليائسين .
- في الكتب وجدت راحة الرجل عند المرأة .
- ذلك عندما يكون هناك زواج بينهما .
- حسناً لنتزوج .

خنقت البنت ضحكة ، رمقها بعينين غاضبتين . . قالت :

- وهل الزواج لعبة صبيان .
- وما الفرق ، أنا الآن ملك نفسي ، وأنت تستطيعين أن تكوني ملك نفسك .
- وهل تريد أن يرجمونا داخل الوادي .
- عندما نتزوج يكون كل شيء بيننا شرعياً .
- ومن قال أبي المجنون يوافق عليك .
- وهل يوافق على ذلك الشاب الذي وقفت من أجله .
- كل إنسان لديه آمال وطموحات قد لا تتحقق .

قام واقترب منها ، وقف أمامها ، مستفزاً ، شيء ما يضغط في عروقه ، ظلام دامس يهيمن ، هجم عليها ، حاولت أن تتملص منه ، خشيت أن تصيح ، سحبها إلى الغرفة ، نام فوقها ، لم تمتلك وسيلة كي تمنعه من تمزيق ملابسها ، وجدت نفسها عارية ، ووجدته مجنوناً يروم ارتكاب جريمة ، ماعت في تعب وغثيان ، وحين وعت رأته غارقاً في نوم شاخر ، وجدت فخذيها منقوشين ببقع حمراء ، ارتاعت رغم وجود لذة تسري في أحشائها ، أنهضته . . قالت :

- أخرجني من هذه الورطة .

- ماذا أعمل .
- اذهب إلى السوق وأجلب لي ثوباً .
- حسناً ، لكن لا تتركي البيت .

وجد نفسه في حالة جديدة ، وحين أصبح في الزقاق ، نادته الجارة ، توقف مرتجفاً . . قالت :

- ماذا فعلت بالبنت .

لم يحر جواباً ، تخاذل وكاد أن يموت . . قالت أيضاً :

- لدي كلام معك فيما بعد ، أين تذهب .
- أجلب لها ملابس .
- لدي ملابس فائضة لابنتي سأجلبها لك .
- ربما لا تناسبها .
- جربها .

دخلت الجارة البيت وأتت بكيس ملابس ، وجدت البنت ملابس مناسبة لها . . قالت :

- سأراك فيما بعد كي نفكر بمصيرنا .

خرجت وتركته حائراً ، قبل أن يسمع طرقات على الباب ، وجد الجارة واقفة ، دخلت من غير أن يتكلم ، توجهت إلى الغرفة ، جلست ، ظل واقفاً عند الباب . . قالت :

- هنا حطمت حياة البنت .

لم يتكلم . . أردفت :

- تعال اقترب .

متخاذلاً تقدم وجلس قبالتها ، دنت منه . . قالت :

- لم لا تتزوجها .
- كيف .
- أنا سأقنع أباها المجنون .
- أكون شاكراً لك .
- لا تخش حتى لو حبلت لدي وسيلة أن أنقذها من أجلك .
- أنت تقدمين خدمة كبيرة لي .
- ليست خدمة ، أنا كنت مثلها ، والدك المرحوم فعل معي ذلك ، امرأة جارة قدمت معروفاً لي وزوجتني من رجل متواضع العقل لخنق الفضيحة .
- أي شيء تريدينه أنا حاضر .
- لا أريد شيئاً سوى خنق هذه الفضيحة إكراماً لأمك زميلتي .

خرجت المرأة الجارة وبقي وحيداً غارقاً في سديم يتسع ويبتلعه ، بعد يومين جاءته الجارة . . قالت :

- لم يرضخ لمطلبي ، قال أنا لا أعطي ابنتي لواحد غريب .
- وهل أنا غريب .
- يعتبرك غريباً كونك كوردياً .
- وما العمل .
- اتفقت مع البنت أن تأتي معي كي أخلصها من بذور القضية في أحشائها ، هناك امرأة تخيط البكارات المفضوضة أيضاً .

- أشكرك .

خرجت ، ظل يقلبني بحثاً عن حل مناسب ، لم أكن أنا الرأس الحزين للذي جرى أمتلك بصمة صحو ، أو نقطة ضوء كي أنير الظلام المتوالد في عروقه ، بعد مرور شهرين على القضية تم تزويج تلك البنت من ابن عمها ، ومضت القضية من غير دخان أو نار .

***

هل للجسد سلطة مخبوءة ، تلتجئ إليها الأعصاب لسبب ما ، في وقت ما ، جراء ضغط فعل خفي ، يبغي إحداث تغير كامل في الصفات المدسوسة ، داخل العروق والأوعية الدموية .

الناس تبدأ سيرة حياة روتينية ، غالباً ما تكون تقليدية ، كون الصغير يرى الكبير ويعيد ما يبديه من أعمال تتكرر وحركات روتينية تتواصل ، قبل أن يمتلك شخصيته وتتفاقم فيه الرغبات وتزدحم الأحلام ، تراه يندفع لتغيير دفة الحياة الخاصة به ، قد تكون للظروف تأثيرات سلبية أو إيجابية على التغير الحاصل ، فالمرء حين يكبر تتسع رؤيته ، تتوسع مداركه ، حاجاته الجسدية تنمو وتطلب ما يناسبها ، يعيش تحت ضغط الصور الحياتية المتراكمة في أرشيف الرأس ، ربما يتبادر إلى الذهن سؤال وجيه ، فعل التغير من المسئول عنه ، الجسد أم الرأس ، وهل وظيفة الرأس تنظيم متطلبات الجسد ، يقوم مقام المؤرخ والتموييني ومستقبل الخبرات المتوالدة يومياً ، ومؤرشف الحوادث ، والمدافع حين يساق الجسد للشهادة أو الأعتراف بالذنب ، وناقل الحقائق لمن يريد الثقافة الشفاهية المتراكمة

لحياة مضت ، وبقية الأشياء الأخر القائمة لتكملة كوميديا الحياة على مسرح الوجود .

***

الجسد الملتصق بي ، بدأ حياة مثالية ، سلطني على ضوء لم أره ، بل توقعته من خلال توجهاته وبدء سيرته بحب الكتاب ، خلته يروم مكانة اجتماعية مرموقة ، فمن يعشق الكتاب لابد أن تسكنه رغبات ودودة للعطاء في حياته اللاحقة ، لكن كيف تغير ، لم سار عكس رغباته الأولى . .؟؟ من المسئول عن انحداره . . ؟؟هل كان الجسد مليئاً بفواصل الخير ، قبل أن تتغلب عليه فواصل الشر . . ؟؟ هذا الاحتمال وارد ، كون الجسد البشري قربة تتساوى فيه كفتا الحياة ، ما هو خير وما هو شر ، وأبقى أنا ، أعني الرأس الفيصل لمراقبة التأرجح المتواصل ، يحاول منع حصول انفلات في المعايير كي لا ينحرف إلى جهة ما ، هذا ما كان يشغلني عندما سقط الجسد الملتصق بي ، لم أمتلك الصولجان كي أعيد التوازن ، مالت كفة الشر وبقيت مثل فزاعة أدمنتها الطيور وراحت تحتمي بها بدل الهروب منها .

***

الجسد الملتصق بي ، وصله خبر زواج تلك البنت ، شعر بشيء ثقيل يتحرر منه ، لم يحزن ، لم ينفعل ، ظهر أكثر فرحاً ، كمجرم تخلص من برهان جريمته ، وصار بعيداً عن أعين القانون ، رغم أن القانون في البلدة والبلاد يقولون عنه (أعمى) ،

تلك البنت تم تزويجها لرجل ساذج ، عشقها من أول نظرة ، كان مزحوماً بشهوة متفاقمة ، كل النساء عنده هيئة جاهزة لتقبل فعل الليل ، لم يعرف أن هناك فرقاً بين البنت والمرأة ، هذا الفرق عنده مميز حسب عقليته ، كون البنت لا تلبس عباءة والمرأة تلبس عباءة ، هذا هو الفرق بين البنت والمرأة في بلدة لم تتحرر من ثوابت قديمة ، أما الجسر الموصل بين جبلي اللحم أسفل البطن في ذلك التجويف المخيف ، الدهليز الرطب لاستمرارية الحياة لدى كل الكائنات الناطقة والعاوية ، الحاجز المخاطي الرقيق ، إذا ما خدش نفر دم البراءة ليلة فقدان العذرية ، لم يكن يعرف أن هذا هو الفيصل بين أن تكون الأنثى بنتاً أو امرأة ، طار سعادة وقبل بتلك البنت المتمردة زوجة دائمة العطاء ، لكن شيطنة البنت دعتها إلى اتخاذ جانب الحيطة ، قبلت برأي المرأة الجارة وذهبت معها لممرضة تعمل العجائب ، قيل إنها تخيط غشاء البكارة لكل فتاة تزل ، وتجهض لمن أخطأت بسرية دائمة ، خاطت للبنت غشاءها المسحوق ، وتهيأت لليلة فتقها من قبل زوج غشيم تسكنه شهوة عمياء ، تم الزواج بخير ، وبعد مرور أيام جاءت الجارة للجسد الملتصق بي ، وجدته متكاسلاً يسترخي على حصيرة سعف وسط حوش البيت ، كان الباب مفتوحاً ، دفعته ودخلت ، حين رآها نهض ، كان ملقياً ملابسه الخارجية ، شعر بخجل وندم لأنه لم يغلق الباب ، لم تدعه يدخل الغرفة لارتداء ملابسه . . قالت :

– حر هذه الأيام قاتل ، الواحد لا يعرف كيف يقضي الظهيرة .

– الكهرباء مقطوعة منذ الصباح الباكر .

– لعنة الله عليهم ، لا رحمة فيهم ، الله ينتقم منهم .

– يقولون (إيران) هي التي قطعت الكهرباء .

– كلام مسئولين لتخدير أعصابنا .

– يقولون سيستمر حتى ثلاثة أيام .

– قل لي ماذا تعمل . . ؟؟

– أشعر بفراغ كبير .

– هل اشتقت لها .

– عشت في رعب هذين اليومين .

– خلصتك من الورطة إكراماً لأمك صديقتي العزيزة .

– لا أعرف كيف أرد الجميل لك .

– لا أريد شيئاً سوى راحتك .

توقف عن الكلام ، كانت تنظر إليه ، امرأة في الستين ، تبدو متماسكة ، نظراتها لا تهزم ، وكان هو جالساً بسرواله الداخلي و (تي شيرت) قديم ، خجل أن يواصل النظر إليها ، قامت من جلستها وتوجهت نحو الباب ، قام وتبعها ، توقفت عند العتبة ، وقف هو أيضاً . . قالت :

– سأجلب لك الغداء .

لم يحر جواباً ، وجدته يمد يديه ويمسكها من كتفيها ، لم تتحرك الجارة ، خالت القضية تقديم مزيد من العرفان والشكر

بسبب تخليصه من الورطة الأخلاقية ، لكن الجسد الملتصق بي تفاعلت فيه العروق وصعدت الحرارة ، جذبها إليه . . قالت :

– ماذا بك أنت تحاول البكاء .

– أنا أحبك .

ضحكت الجارة . . قالت :

– لم أسمع كائناً ذكرياً يقول لي هذا الكلام .

– أنا أحبك يا عمتي .

– لكنني كبيرة يا ولد .

حملها ، كانت الجارة تضحك فوق كتفه ، تكاد تطير ، أدخلها الغرفة وألقاها فوق حصيرة ونام عليها ، لم تمانع ، بكت الجارة . . قالت :

– منذ عشر سنوات أنا محرومة من هذا .

– سأعوضك عن الخسارة .

– لنكن حذرين .

– وهل هو لا يملك مثلما أملك .

– كان يملك أفضل وأكبر ولكن الحرب سلبته رجولته .

– هل أصابته شظية .

– الأطباء قالوا له ، جسدك تعرض إلى أشعة كيماوية قتلت رجولتك .

– وماذا يعمل .

– ينام فوقي جسداً لا روح فيه ، مسكين .

توقف الكلام ، الجسد الملتصق بي وجد حرارة جديدة

تتناهض فيه ، نام عليها هذه المرة وقتاً أطول ، وحين فش ونزف عرقه سقط على السرير يشخر ، قامت الجارة وخرجت .

***

الجسد الملتصق بي لم يخرج من مستودع البول مرتين ، كما دأب الكثير من البشر على الخروج مرتين من مكان البول ، هناك من يخرج مرة واحدة ، كون خروجه الثاني يكون عبر عمليات قيصرية يخرج من شق آخر ، وهناك حالة جديدة نتاج العصر الراهن ، يتم زراعة النطفة في مختبرات طبية تزرع في رحم الأنثى ، وحين تحصل ولادة عسيرة يخرج الجنين بشق البطن .

الجسد الملتصق بي ، كان خروجه الأول عبر المختبرات الطبية ، يوم شاع خبر إمكانية إنجاب العاقر ، هب الأب لتحقيق حلم حياته بعد كثير من المراجعات الطبية والأعشابية لتقوية سائله المنوي ، سمع الخبر وطار فرحاً لبلاد (بوريا) ، عذراً هذا الاسم ليس من بنات أفكاري ، سمعت امرأة تقول لامرأة :

– ضربونا بوري . . !!

كانت تلك الكلمة كما تعرف شاعت بين الناس جراء استشراء ظاهرة الفساد الأخلاقي والتحايل في عمليات التجارة وفي كل التعاملات الأخرى ، تلك المرأة كما باحت لزميلتها أن رحلتها إلى بلاد (بوريا) كانت ممتعة ، تخلصت لأشهر أربعة من فوضى البلاد ، من هزات الانفجارات ، من الظلام الليلي جراء انقطاع الكهرباء ، لكن العملية التي أجريت لها لم تتكلل بالنجاح ، ما إن عادت إلى البلاد وقررت أن تخلد لراحة طويلة

كي ينمو في أحشائها الجنين ، سقط في الشهر الخامس ، اتصلت بالطبيب الذي قدم خدمة لها مقابل أجر أقل هذه المرة ، المرأة الزميلة أجابتها :

– نحن اكتشفنا للبشرية ظاهرة (البوري) ، كيف انتشرت ظاهرتنا في بلدان الجوار . . !!

– لدينا أربعة ملايين نفس مشردين هناك ، لابد أنهم نقلوا تراثنا معهم . . !!

– إيّاك أن تذهبي مرة أخرى إلى بلاد (بوريا) . . !!

– اسم جميل يليق بهم . . !!

الجسد الملتصق بي ، تمت زراعته في رحم أمه ، كون الأب كان يشكو من ضعف طويل في سائله ، قبل أن يجيء الخبر عبر نساء البلدة العاقرات ، وسارع للفوز بولد صالح يحمل اسمه بعد رحيله ، جاء بعد تسعة أشهر من مكان البول ، وحين شب شعر بحريق أول عندما توفي أبوه ، شعر بفراغ كبير قبل أن يكتشف العلاج عبر مطالعة الكتب ، كان يسهر الليل ، منهمكاً ، متفاعلاً مع الشخصيات الورقية ، ورغب أن يكتب ذات مرة شيئاً ما ، رواية أو قصيدة ، مسك القلم وخط بضع كلمات متعثرة قبل أن يضع القلم جانباً ، بعدما أخبرته أن الكتابة موهبة ، وأنها مجموعة آلام وأحلام متداخلة ، تحتاج لمعالجة فنية لفك الاشتباك الحاصل بين معسكرين متناحرين ، رضخ لإرادتي ، وراح يلتهم الكتب ، قبل أن يسقط ضحية تلك البنت وحدث الذي حدثتك به .

***

الجسد الملتصق بي ، وجد الجارة خير منبر لإطلاق موهبته الحيوانية ، شراهته أسكرت الجارة ، راحت تتسلل كلما كانت تمتلك فرصة ، لكن فرحة الجسد الملتصق بي لم تدم طويلاً ، بعد شهر وجد نفسه مرتجف العروق ، ضاغطاً علي كي أحرر مطر أغواري ، كانت الجارة مسجاة وسط باحة الحوش ، وكانت نساء الزقاق يولولن ويبكين ، كان يقف فوق سطح البيت ، ينظر متراخياً إلى ما يحصل في بيتها ، رافق الحشود لمواراتها الثرى ، كان اليقين يسقيه برحيق أحلام ممكنة التحقيق ، ساده التصور أن كل جارة ستخدمه طالما كانت أمّه صديقة لهن ، بدأ يلقي صنارة شهوته أمامهن ، يتودد بشكل مفتعل قبل أن يسمع واحدة تكلم واحدة أخرى :

- يمكن تخبل . . !!
- أنا أيضاً أقول هذا الكلام .
- ليلة أمس رأيته فوق سطح البيت يمارس عادته العلنية .
- كلما أنظر أليه يمد يده ويداعب سلاحه .
- شقيقتي رأته مرة يخرج سلاحه لها .
- وما العمل يا عزيزتي .
- لا أعرف .
- ربما سيرتكب حماقة لو سكتنا .
- وما العمل .
- سأقول لزوجي .
- أرجوك دعي الأمر قليلاً .

– بيتنا ملاصق لبيته ، أخشى أن يهبط علي في الليل عندما يكون زوجي خفيراً .

– لا أعتقد أنه يرتكب مثل هذه الحماقة ، كوني وجدته يبحث عن متنفس لشهوته ، يوم أمس رصدته من النافذة كان يروم إدخال حمارة دخلت الزقاق إلى البيت .

– يا له من ولد قذر .

– قلبي ينفطر له ، لو كانت لدي بنت لزوجتها له .

– أتعطين هكذا بشر زوجة .

– ولد وسيم ولديه راتب والده وبيت ملك .

– لكنه شهواني .

– سيتغير حين يمتلك زوجة .

– لم لا نزوجه ونخلص من شرّه .

– فكرة معقولة ، يا ترى من نختار له .

– سنفكر بالموضوع . . !!

الحوار سمعته ونقلته إليه عبر عروقه المتصالبة ، خلد لخوف مباغت ، ومن لحظتها راح يتسكع بحثاً عن أمكنة تعطيه راحة عابرة .

***

خلد لنوم مفاجئ ، أغلقت فم الكرتون ونقلته إلى مكانه ، عدت وفتحت النافذة ، كان ليل (جلبلاء) موحشاً ، الغبار لا يترك الفضاء ، المصابيح خجولة تشق أحشاء الظلام ، أبخرة

خانقة تحررها مولدات كهربائية تلوث الهواء ، نباح كلاب تتواصل ، من تلك الوقفة وعبر التوليفة الفوضوية لليل كنت أستمد العزيمة للكتابة ، أتشرب برائحة الرغبة ، أعود لطاولة الكتابة ، سرعان ما أجد الكلمات تنهمر كمطر شتائي عارم ، لكن في تلك اللحظة وجدت البلدة مصادرة ، أشباح عملاقة تهبط للشوارع ، مركبات غريبة تشق أحشاء الأزقة ، تشوش فكري ، خلت القضية أكبر من تصور الخيال ، فهذا الرأس المتمرد على الموت يخبئ لي كارثة ، لابد أن القضية تتعلق بتلك القصة التي كتبتها (مزرعة الرؤوس) ❋ ، هل كان رأساً منسياً ، شيء بدأ يتحرك في ، بدأ يثير قلقاً ، فأنا حين كتبت تلك القصة ، استندت إلى حكاية نقلها لي صديق ، أن قصاباً تفاجأ ذات صباح برجال غرباء يسوقون رجلاً إليه كي ينحره ، حين لبى أمرهم اختفوا ، مات القصّاب بعد أيام جراء حمى عنيفة سكنته وقتلته ، كان الواقع الأليم يضغط بعنف على خيالي ، يحاول تمرير وقائع تحصل يومياً عبر تلك القصة ، فجاءت كما جاءت وحققت لنفسها مكانة مروعة لدى من قرأها ، تواصلت ردود أفعال كثيرة من قرّاء واصفين لي الرعب الذي عاشوه بعد قراءتها ، وهناك قصة أخرى (مزبلة الرؤوس البشرية) ❋ ، كتبتها تكملة لمشروعي القصصي الذي سلكته ، أثارت أقلام بعض القرّاء ، وذكرت لي فتاة أنها ما تزال تشكو من كوابيس ليلية لا ترحم مذ قرأت تلك القصة .

فهذا الرأس يمتلك مخيالاً متقداً ، يتكلم بلسان سلس ، ما

سر بقائه متعلقاً بالحياة ، الرأس حين ينفصل عن الجسد يهمد ، لم لم يهمد هذا الرأس الموجود في غرفتي ، رأس من هو . . !! ، تواصلت الأسئلة ، لم أجد جواباً يقنعني ، جلست إلى الطاولة ، لم أجد دافعاً يحررني من الصمت ، رحت أنظر إلى الكرتون ، فجأة اندفعت إليه ، أنزلته وأخرجته ، كان فاتحاً عينيه ، ابتسمت مفرغاً شحنات جسدي من الغضب الذي توالد ، لم يبتسم ، ظل يمتلك صرامته في التحديق ، أخرجته ووضعته أمامي . . قال :

– لا ينفعل كاتب الرواية حين تسكنه فكرة ما .

– غضبي متوالد جرّاء الغموض الذي تفرضه علي .

– لا تحتر ، أنت اخترت هذا النوع من الكتابة .

– الواقع فرض علي ذلك .

– لا ألومك ، كل كاتب غير متفاعل مع واقع ووقائع بلدته ، كاتب جبان .

– لكن الخوف من القصاص هو الذي ينئيهم من التعامل مع الوقائع من غير اللجوء إلى الرمزية .

– أنت سلكت الدرب الصحيح ، لا تحد عنه ، كن متماسكاً ، فما يجري لا يصلح القلم الفاسد للتعامل معه .

– أعرف هذا .

– أنا نتاج خيالك ، أنت تبحث عن الغرائب كي تثير بها الذائقة .

– لكنك تبدي غموضاً أكثر مما يجب .

– عليك أن تبني تصوراتك الواقعية بما يكون مألوفاً لدى الذائقة .

– البعض يرى التعامل مع هذه المواضيع حساساً ، لم يئن أوانه بعد .

– لا تصغِ لمن يمتلك بذور الجبن ، كن شجاعاً ، فالكتابة مهنة الشجعانَ ، ومن لا يمتلك شجاعة محض فقاعة زائلة ، إنه ككلب فقد شراسته الحيوانية وراح يهدد اللصوص بالنباح فقط .

– تشبيه جميل .

– ربما ليس بوسعك أن تقول هذا ، كون الكتّاب يفتقرون إلى محرك فعل الكتابة فيهم ، إنهم يثارون ، ميالون للمجاملة ، ينتفضون حين تجابههم بالحقائق .

– أعرف هذا ، كونهم ضحايا شيطان الغرور .

– تواضعك أنقذك من سرطان النسيان .

– التواضع سر الحياة كلها .

– أحسنت .

– والآن ماذا لديك بعد .

– الكلام كثير نحتاج إلى جلسات طويلة كي نستكمل قيافة الجسد الملتصق بي .

– وكيف أقحم أشياء ربما غير جديرة به داخل الرواية .

– أعطيتك الأساسيات وعليك البناء وتكملته .

– ستحتاج الرواية إلى وقت طويل .

- الرواية كتبناها معاً ، أنت تحتاج فقط للخاتمة .
- وكيف تكون حسب قناعتك .
- النهاية مكتملة فقط تحتاج إلى صبرك وتشغيل مخك .
- لا أفهمك ، ما زلت غامضاً معي .
- حسناً . . حدثني عن أشياء أخر .
- سأكف عن الحديث في أي شيء .
- هل هذا عناد أم تمرد .
- لا فرق بين العناد والتمرد .
- لم لا تحكي .
- قلت لك عليك أن تستكمل القيافة ، أنا بزاز أعطيتك القماش ، أنت خيّاط عليك أن تقوم بالخياطة وفق براعتك .
- حسناً الخياطة مثل الكتابة تحتاج إلى فكر صاف .
- في زمن قديم حين كان الرأس البشري مطارداً ، منبوذاً ، تحاربه الملوك ، يقطع ويرمي في الطرقات أو يصلب على رؤوس الرماح ، كان الجسد يستولي على الحياة ، البشري الطويل غالباً ما ينال فرص حياة مثالية ، هم القادة وبناة القلاع وحرّاس الملوك .

حدث أن تفرغ رأس توهج بالنور لتحرير العباد من الظلام الدامس المحيق بهم ، كان يحرر دستور الخلود ، يطهر الأبدان من الآثام ، كانت أنثى لعوب متمردة على بنات جنسها ، تستغل جسدها للتعبير عن خلجاتها الشهوانية ، تكافح لإرضاء الشيطان ، قبل أن تشعر بوجود ضوء قاهر يربك وظيفتها ، لم

تتـورع عـن تركـيـع الملـك لتلبيـة طلبـهـا ، قـام الملك الغـفل بفـصل الرأس المملوء بالنور ووضعـه على طبق من ذهب أمامهـا .

– أنت تحكي عن نبي مـرسل من أنبـيـاء الخـالق إلى البشرية .

– ليست الغاية هنا .

– وما غايتك .

– عندما يشعر الجسد بوجود خطر يهدد شهوته يتمرد ويثور على الخصم .

– حتى لو كان الخصم الرأس المتصل به .

– نعم .

– كيف . . ؟؟

– التمرد على الفكر والعقل انتحار .

– وكيف يحصل ذلك .

– الشهوة الحيوانية تتغلب على السلطة العقلانية ، فيسوق الجسد نفسه إلى المقصلة .

– أعرف من هذا الكلام أنك كنت ضحية غلبة الحيوانية على الجسد الملتصق بك .

– ربما هناك دوافع أخر .

– سأبحث عن هذه الجوانب الغامضة في كتب الفلسفة .

لم يفـه بشيء ، أغـمض عـينيـه وغط في مـوت مـؤقت ، نهض . . قال :

- حسناً لدي الفاصل المهم من الحكاية . . !!

***

بلدة (جلبلاء) ثعبانية الهيئة ، تنحني مضغوطة المنازل ما بين نهر (دلبلاء) المنقرض ماؤه ، وتلال متلاصقة هي أذناب منفلتة من سلسلة جبال (حيران) المارة بمحاذاة الجهة الشرقية ، تشكل البلدة قوساً مع تفرعاتها المتشعبة ، تنشطر البلدة لقسمين ، يشطرهما الشارع الرئيس ، تتشابك الأزقة وتتداخل بسبب عدم وجود مخططات عمرانية تهندس البيوت ، وفق أنظمة تؤهل للعيش بلا فوضى ، أو قوانين رادعة تعدم فرص تدمير خارطة البلدة من قبل أصحاب نفوذ وأيد طويلة تتقن السير خلف الكواليس ، تتعرج الأزقة لتشكل ممرات مختنقة تشق أحشاء منازل واطئة ، طينية ، يتعذر المشي فيها نهاراً ، وفي الليل تغدو أمكنة تثير الشكوك والفزع ، كون معظمها ينتهي نهاية مبتورة بمنزل منفرد أو واد يسوق المرء نحو الجبال .

***

كان الجسد الملتصق بي يمر بالمسالك المتعرجة بين الأزقة ، شيء بريء لكنه ضاغط يدفعه إلى شق أحشاء الأمكنة الخانقة ، ربما شهوته كانت متفاقمة راحت تنير له تلك المتاهات المرهونة بالمفاجآت غير السارة ، يمشي بحثاً عن علاج سريع يحرره من ضغط الشهوة ، بسمة فتاة ، جسد امرأة فارعة تبرز مفاتنها ، نظرات ذات مغزى ، ثغر ينفرج عن أسنان ناصعة ، تلك الأشياء تهدئ أعصابه وتدعه مسروراً يغطس في لذة

وحلم ، رغم علمه بضحالة فرص البحث عن موطن نازف للأرق الذي يخنقه في هكذا أماكن مخيفة ، فالقاطنون ناس هجرت قراها وجاءت لتبني منازل متجاوزة على القانون ، ناسها تتطبع بالخشونة وعدم التآلف بيسر ، تفسر الحالات العابرة وفق ضيق أفكارها ، فالغريب المار بهم يعتبرونه طالب حق جاء يقتص من مطلوب .

***

بدأ سبر أغوار تلك الأمكنة القديمة يطفح على سطح الرغبة ، وجدها فرصة لتكملة التطورات التي حصلت للبلدة ، فلا بد من وجود إناث مشحونات بالرغبات ، رغم تبديل وضعية الناس جرّاء الظروف العصيبة للبلد ، بدأ يمشي غير واضع في البال كل ظرف طارئ يصدمه بمحنة عاقبتها وخيمة ، مرات عديدة كان يمشي نهاراً في تلك الأمكنة ، أشياء لم أعها أنا ، كونه كان يتصرف من غير تفكير ، لذلك كنت أجهل رغباته ، كنت أرى نساء كأنهن رجال يدخن ويعملن الخبز وسط الأزقة ، لا شيء يبرز فيهن أنوثتهن ، أسمالهن خشنة ، متلفعات الرؤوس ، عيونهن خلف نقاب .

حدث أن سمعت كلاماً عابراً بين امرأتين :

– هذا الولد رأيته قبل يومين يمر من هنا .

– ربما بيته في المنطقة .

– شكله حلو لا أعتقد أنه من هنا .

– يبدو عليه الخجل ، لا يرفع رأسه حين يمر .

- هكذا بشر يجب الاحتراس منهم .
- وما الداعي من الخوف .
- يبدو عليه متورماً من شهوته .
- وكيف عرفت .
- رأيته وهو يمشي يفرك كائنه .
- لابد أنه يرتبط بواحدة في منطقتنا .
- وأنا فكرت بهذا الموضوع .
- يا ترى من هي . . ؟؟
- سأطلب من ابني متابعته ومراقبته .

الجسد الملتصق بي ، ظل بعناد يمشي عبر تلك الممرات ، لا مكترثاً ، ناسفاً في باله الشبهات المتوقعة ، توقع أن واحدة ما ستعلن عن نفسها ، جريحة عاطفة ، ظامئة ، ستدعوه بإشارة أو غمازة عين ، عندها سيندفع بلا تردد ليكون في قلب محنته ، لم يحصل أن وقع على فريسة أو صيد ليلي ولا نهاري يريحه من مصيبته ، قبل أن يفاجأ بشاب يوقفه ، لم يعره أذناً صاغية لصوته ، مشى قبل أن يسمع صوت أقسام بندقية يجبره على التوقف ، تقدم الولد منه ، وضع فوهة البندقية على صدغي أنا ، ولم يضعه كما يفعل البعض على ظهر الجسد الملتصق بي . . همس :

- إمشِ من غير حركة . ؟؟

سار معه ، لم يبد خوفاً ، خال القضية مزحة مثلما حصل له من قبل رجل تلك المرأة التي نام معها فوق سطح البيت ، يوم

كان ملتصقاً بجسد غير بشري ، سار غير راغب بالكلام ، ممر يوصله لممر آخر ، وصل زقاقاً ضيقاً ، تذكر أنه مر به ، بل توقف فيه ذات ليلة وسكب مشروب سعادته بعادة علنية ، عند النهاية المعتمة للزقاق ، وجد باباً خلفياً لمنزل قديم ، مفتوحاً ، دفعه الولد بمقدمة بندقيته ، دخل ، كان بيتاً موحشاً ، وجد أنفاراً مسلحة متأهبة ، لم يهتد لمعرفتهم ، كانوا ملثمين ، ساقوه نحو غرفة مظلمة ، دخل عليه ولد من الشلة المتأهبة ، صاح بوجهه :

– حقير تتجسس علينا .

– أنا . . !!

– راقبناك لأيام وأنت تمر من هنا ، لمن تتجسس . . ؟؟

– أنا لست جاسوساً .

– نعرف أنك كاتب روايات ، بدأت تخرج من ثوبك المعروف .

– أنت متوهم ، أنا لست كما تظن .

– أتريد أن توهمنا .

– صدقوني أنا لست هو ، صحيح أننا متشابهان في كل شيء .

– أنت هو ، جئت تبحث عن أسرارنا لتكتبها في رواياتك بذريعة الكتابة عن مدينتك الخيالية (جلبلاء) .

– هناك خطأ في التقدير ، أنا مبتلى بهمومي وأحلامي .

– مبتلى برصد أعمالنا وفضحنا بطريقتك الماكرة .

– لكنني لست كما تظن صدقني .

– لا يهمنا ذلك ، أنت بدأت تتجاوز علينا في كتاباتك الأخيرة .

– أسأل عني ، كل أهالي الأزقة يعرفونني .

– كنت تقول الحقائق بلا تردد في كل كتاباتك ، أراك الآن خانعاً .

– أرجوك تحرى جيداً أنا لست هو ، صحيح لا فرق بيننا ، من يرانا يظننا توأمين .

– بعثنا لك موفدنا وأخبرك بعدم نشر روايتك الأخيرة (بعل الغجرية) ❋ .

– أنا لم أكتب في حياتي ، رغم أنني كنت متلهفاً لصدور الرواية وقراءتها .

– هي الآن تحت أسنان المطابع في (مصر) كما وردنا خبرها عبر اتصالاتنا .

– سمعت بذلك وكنت متلهفاً للحصول على نسخة .

– هذا يعني أنك لم تدع فرصة واحدة للتحاور بيننا لنصل إلى حلٍ يرضينا ومنحك الأمان .

– أنا مستعد للتحاور معك .

– لكنك كنت تتباهى كونك لم تغير كلمات نزفتها أناملك على الورق .

– لم يحصل هذا .

– أمّا نحن فلن نغير قراراً اتخذناه شورى بيننا .

– وماذا لديك بعد .

– فرصة أخيرة أن تسحب روايتك (بعل الغجرية) .

– صدقني لست كاتب روايات ، ربما أنا شخصية مؤهلة أن أغدو بطل رواية .

– هذا الكلام لن ينفعك .

– قلت لموفدنا إنك لن تساوم على رواية باتت ملك القرّاء ، ستدفع حياتك ثمناً لذلك .

– أرجوك أنا ميت منذ زمن طويل .

– لا تتفلسف علي .

– حسناً . . أنا أمقت الاحتلال وأقف بقوة ضدهم كي يرحلوا عن بلادنا .

– كل الذين اصطدناهم قالوا هذا الكلام من فرط جبنهم .

– لكنني معروف بشجاعتي من خلال تجوالاتي الليلية رغم (حظر التجوال) المفروض على البلدة .

– لا أحد يقرأ كي يدرك أنك تهذي بتخاريف وأراجيف مرفوضة شرعاً .

– حسناً . . ما دمت تعتبرني كاتب البلدة وكتاباتي محض أراجيف لم تطلبون وقف نشر رواية (بعل الغجرية) ، أليس من الواجب الاحتفاء بهذا المنجز الأدبي .

– في الرواية كشف لأحد حلولنا المطروحة في حربنا المقدسة ضد السلطة .

– لكنه مجرد توقع وهذا لا يعني أن الرواية استشرفت مكامن أسراركم .

– الرواية منحت السلطة فرصة للانتباه ، ستجعلهم يتخذون التدابير اللازمة لمعالجة أي خرق من قبلنا .

– ومن قال إننا سنعيش حتى حلول موعد تلك النهاية التخمينية في الرواية .

– أنت بالنسبة لنا شخص يقف على حافة الهاوية ، موتك بين أيدينا .

– ما كتب لي لابد أن يقع رغم أنكم توهمتم كثيراً بسبب عدم التركيز وضعف البصيرة .

– حسناً . . يمكنني أن أرجىء موتك .

– وذاك بيد الخالق أيضاً .

– إسمع لديك فرصة أخيرة ، إسحب روايتك من الطبع كي تعيش مسالماً .

– أنا مسالم رغم سقوطي في مستنقع كل الانحرافات الحاصلة لتدمير الحياة ، لو مت بيدك لابد القضية سيتحمس لها كاتب (جلبلاء) ويجعلني رواية ستعيش طويلاً من بعدي .

– كانت هناك فكرة أن نتخذك (ماركيزنا) . . تعرف ما أعني .

– أنا تجعلونني (ماركيز) .

– أنت معروف وكلمتك مقروءة ، لابد أن تجد أذناً صاغية لكلامك عندهم .

– لكنني لم أكتب في حياتي .

– ألم تقل هذا الكلام في مقال لك ، ليس هناك من

يصغي لعقل الأديب .

– لا لم أقل مثل هذا الكلام .

– (ماركيز) كان الطرف المحاور بين رجال العصابات وحكومة (كولومبيا) ، كتبت عن هذا الموضوع في مقالة .

– قرأت هذا المقال .

– ولم لم تنفذ هذا المشروع الكبير بالنسبة لنا لتكون كاتب البلدة .

– أي مشروع تعني .

– مشروعك الروائي بخصوص رغبتك في تقمص شخصية وسيط بيننا وبين السلطة .

– نحن نعيش في بلاد خائفة ، بلاد تمشي بعكاز ، نحتاج لأجيال كي تكون للكلمة مكانة مقدسة بين الناس ، ويكون الأديب محترماً على أقل تقدير ، هذا ما جاء في المقال .

– مرات كثيرة خططنا وهيأنا مستلزمات الفوضى ، لكن وجودك المتواصل ، وعن طريق المصادفات ، دعانا أن نحترمك ونؤجل أعمالنا إلى أوقات أخر ، إكراماً لمكانتك الشعبية .

– ربما أنتم تقدسون الكلمة ومن يتعاطاها .

– هذا ليس من شأنك ، لم تعد تشكل لدينا شيئاً يذكر مذ بدأت تعلن عن روايتك (بعل الغجرية) في مواقع كثيرة على شبكة الإنترنت .

– لكنني لست كاتبها ، أنا مجرد شبيه الكاتب ، وتمنيت مرات كثيرة أن أذهب إليه وألتقي به ، لكن رغبتي كانت تفتر

من غير سبب .

– لا تتهرب اعترفت أنك كنت تحلم أن تكون (ماركيز) البلدة .

– أنت تتهمني بشخصية لكم حلمت أن ألتقي بها وأحاورها .

– لم تعد تمتلك فرصة واحدة للنجاة .

قال كلامه وخرج ، دخل شابان إلى الغرفة ، كان الجسد الملتصق بي يتصبب عرقاً ، تقدم أحدهم وألبسني كيس نايلون ، ربط الآخر يدي الجسد الملتصق بي من الخلف ، سحبوه إلى خارج الغرفة ، مشى الجسد الملتصق بي مدفوعاً ، حملوه ووضعوه داخل صندوق فيما بعد عرفت أنه صندوق مركبة ؛ لأنها راحت تمشي متعرجة جرّاء سواقي المجاري ، توقفت المركبة ، حملوا الجسد الملتصق بي ، فكوا رأسي من الأسر ، كان الظلام دامساً ، أنفار واقفة ، فجأة طرحوا الجسد الملتصق بي ، ظل يكافح للتخلص منهم ، لكن سكين غير حادة أو منجل صدأ فصلني من الجسد الملتصق بي ، قبل أن يضعوني في كيس ويسيروا بي مسافة طويلة ، عرجوا بي وألقوني في المكان الذي مررت بي . . !!

***

سكت ولم يحر جواباً . خلته نام ، لكن الذبول الذي طرأ على وجنتيه ، والتحديق المتواصل جعلاني أرتجف ، مررت أناملي بخوف ، أنزلت رمشيه ، خلته غط في نوم عميق ، تركته على الطاولة ، فجأة بدأت رائحة نتنة تنهض منه ، وبدأ شعره يتساقط ، أغلقت النافذة ، بحثت عن معطر الجو ، اندفعت إلى الحمّام وجلبت المعطر ، أكملت القنينة ولم أسيطر على الرائحة البغيضة ، بدأت أشعر بغثيان ، كادت أحشائي أن تندلق ، هرعت مرة أخرى للحمّام ، سكبت الماء على وجهي ، شممت عطراً وعدت ، وجدته ذابلاً من غير رجعة ، وانزاح الكابوس الجاثم على صدري ، هبطت إلى المطبخ ، كانت زوجتي غارقة في نوم عميق ، أخذت كيسين نايلون وزجاجة عطر وصعدت ، أدخلته إلى الكيسين بعدما رششت العطر عليه ، فكرت بطريقة التخلص منه ، وجدت فكرة الهبوط وإلقاءه في مكانه ربما ستخلق للزقاق متاعب أمنية ، ستأتي المركبات ويحصل التفتيش العام لبيوت الزقاق ، وربما ستكتشف الأجهزة الحساسة الرائحة في غرفتي لحظة التفتيش ، كل شيء ممكن وارد ، استقر بي الموقف أن آخذه بعد صلاة الفجر إلى مكان ما

ودفنه ، وجدت الفكرة ملائمة ، وضعته جانباً ، وألقيت بجسدي على السرير ، لم أرغب بالنوم ، وجدت شيئاً ضاغطاً يرجف قلبي ، تحول إلى رغبة بكاء ، بدأ الدمع ينحدر ، تركته يسلك مسامات وجهي بحرية تامة ، بكيت وقتاً كافياً ، مسحت الدمع ، ورحت أستعيد كلام الرأس المقطوع ، حزن مباغت تغلغل إلى بدني ، تأسفت لموته ، لقد وجدته خير أنيس لي ، لم أجد رأساً بشرياً ينشغل بأمور الكتّاب منذ فترة بعيدة ، كل الرؤوس كانت تندفع وراء شهوات أجسادها ، هناك استثناءات طفيفة ، ثمة أنفار قليلة ما تزال تحتمي بالكتب ، تقرأ وتكتب رغم نيران الواقع ، عاد إلى ذهني كلامه بخصوص رأس النبي (يحيى) كيف قطعوه إرضاء لغانية ، ها هو رأس متنور بالثقافة رغم فلتان جسده وانغماسه في الشهوات ، بتروه كونه كان يشكل ، وفق قناعات تلك الجهة المسلحة ، خطراً عليهم ، تزاحمت أفكار كثيرة في ذهني ، وجدت رغبة الكتابة مطلباً لا يمكن تأجيله ، لم أرغب في الكتابة مباشرة ، سحبت دفتر ملاحظاتي وقلماً ، بدأت وضع الخطوط الرئيسية لروايتي ، كان العنوان حاضراً ، لم يشكل لدي هاجساً ، وجدت (حكايتي مع رأس مقطوع) عنواناً ملائماً لفكرة الرواية ، رغم إثارته ، قسمت المقاطع ، وضعت النهاية من غير تلكؤ ، شعرت بنعاس حاد ، وضعت الدفتر على الطاولة ونمت . . !!

***

مع تصاعد أصوات المآذن نهضت ، كان جسدي مرهقاً ، مرت كوابيس كبيرة في منامي ، كانت كلها قاسية ، أنهكتني ، لم أعد أتذكر شيئاً سوى كابوس واحد .

[كنت أمشي في صحراء ، أحمل كيس بصل ، بدأ البصل يتعفن ، كان علي الوصول إلى البحر ، هناك سفينة راسية ، تنتظر وصولي كي تأخذ مني البصل قبل أن أعود إلى مكاني ، كان الرمل يشوي أقدامي ، كنت عارياً ، حافي القدمين ، وكان الظمأ يفتت لساني ، أقف أحياناً ، أبحث عن شوكة كي أقتلعها وأمتص ماء جذورها ، قبل أن أسحب رأس بصل وأدسه في فمي ، يمدني ببعض القوة والرغبة في مواصلة سيري ، كانت هناك ذئاب صحراوية تتبعني ، على ما يبدو لا تمتلك شجاعة للفتك بي ، لمحتها تنتظر موتي كي تنعم بلحمي ، أمشي وأسقط والذئاب تتبعني لاهثة ، خاس البصل فوق كتفي ، لم أعد أحتمل الرائحة البغيضة المنطلقة ، ليس بوسعي التخلص منه ، لسبب أجهله كونه كان حلماً كابوسياً ، وجدت نفسي أحمل كيس بصل وأمشي في صحراء لا منتهية للوصول إلى البحر وإعطاء الكيس لسفينة راسية ، وسط السقوط المتكرر لي والجوع المتنامي للذئاب ، فقدت توازني ، سقطت ، تركت كيس البصل المتعفن ، بدأت أفكر بطريقة تنقذني من أنياب الذئاب ، بدأت تتقدم بعدما لاح لها استسلامي ، كنت أشعر بأنفاسها الحارقة ، وبريق عيونها الوامضة ، وكنت أفقد الرؤية ، قبل أن تهجم الذئاب دفعة

واحدة علي وراحت تمزقني]

نهضت من سريري ، ألقيت نظرة على الرأس ، كان غارقاً في موته ، مضيت وتوضأت وخرجت إلى المسجد ، وجدت تابوتاً وحوله مجموعة شباب ، بعضهم يبكي ، كان في التابوت رجل ميت جراء عملية فاشلة لتخليصه من (البروستات) ، أدينا الصلاة وطلب منا (الملاّ) أن نصلي على المغفور له ، في تلك اللحظة وجدت فرصة كبيرة جاءت تنقذني ، كانوا منشغلين بالصلاة على الميت وكنت أنمي الفكرة في ذهني ، خرجت من المسجد ودخلت البيت ، وجدت زوجتي قد أنهت صلاتها . . قالت :

- أعددت لك الفطور .
- لا رغبة لدي بتناول أي شيء .
- أراك مرتبكاً .
- يوجد ميت في المسجد أرغب في مرافقة الدفّانة .
- تناول فطورك ربما ستتأخرون على المقبرة .
- حين أعود سأتناول فطوري .

صعدت إلى غرفتي ، حملت الرأس المقطوع ووضعته داخل كيس كبير ، انتظرت حتى سمعت زوجتي تغسل بعض الأقداح داخل المطبخ ، كانت تلك رحمة كبيرة جاءت تنتشلني من نظراتها ، هبطت على رؤوس أصابعي ومررت عبر الصالة وأصبحت خارج البيت ، وجدت المركبات بدأت بحمل الناس لمرافقة الميت ، صعدت إلى سيارة حوضية ، هناك في

المقبرة بدأت أبحث عن فرصة ملائمة كي أتخلص من (الرأس المقطوع) ، وجدت الناس ينتشرون حول القبور ، ينهمكون بقراءة (سورة الفاتحة) على أموات تربطهم بصلات مختلفة ، منها صلات رحم وصلات جيرة وصحبة أو رفقة عابرة ، وحين جاء موعد الدفن تسارع الجميع نحو الرمس لتلقينه ومواراته وإلقاء حفنة ثرى عليه ، وجدت نفسي وجهاً لوجه مع قبر محفور متروك ، ألقيت بالكيس فيه وبدأت أدفع التراب عليه ، لم يكن القبر حديث العهد ، كنت في عجالة من أمري ، فيما بعد تذكرت أن القبر حفروه لوالدي يوم موته ، لكن التغير المفاجئ لمكان الدفن دعانا إلى تركه ، لحظة تدخل أخي وقرر أن يأخذ جدث والدي إلى (وادي السلام) بناء على وصيته ، تحررت من الرأس وعدت متثاقلاً كونه كان مجهولاً من جهة ، ومن جهة أخرى وجدته أكثر الرؤوس التي تفاعلت مع كتاباتي ، لقد منحني وقتاً ممتعاً من الحوار ومادة خصبة لروايتي القادمة .

في طريق عودتي كنت أنتحب بصمت لشيء عزيز فقدته .

***

بدأت الخطوط الروائية تكتمل ، كنت أكتب بسرعة هائلة ، منساقاً لكلمات جارفة ، كدت أفقد السيطرة على مجرى الأحداث ، لولا خبرتي في معالجة تلك الترهات التي تحضر أوان الكتابة ، كأن شيطان ما يحاول وقف نزيف الكلمات ، كنت أمتلك تجربة في مثل هذه الحالات ، أترك الكتابة لربع ساعة تحديداً ، أعمل قدحاً من مشروب شاي (كجرات) أحتسيه لأجدد النشاط في خلايا جسدي ، من جديد أبدأ الكتابة من غير ترهل وملل .

أنهيت الرواية ، قرأتها مرة واحدة ، قبل عرضها على سكرتيرتي الأدبية زوجتي صاحبة الذوق الرفيع والملاحظات الدقيقة ، فرحت زوجتي وشاركتني في مراجعة لغتها ، وجدتها تبكي فرحاً . . قلت لها :

– أكره الدموع .

– أنا أبكي على (الرأس المقطوع) الذي كتبت عنه .

– لم تكن فكرة مدروسة ومختمرة في بالي ، بل فكرة مباغتة بترت رغبتي في تكملة روايتي (فواكه قلبي) ❋ .

– رأس يستحق البكاء .

- لا أكتمك السر ، أنا أيضاً بكيت من أجله .
- ليته كان رأساً حقيقياً لنعمت وقتاً بحواراته .

لم أحر جواباً ، ولم أجد كلاماً يجنبني السقوط في متاهة . . قلت لها :

- سأدفع الرواية للمطبعة .
- لا أعتقد أنهم يطبعونها .
- سأطبعها في دور نشر عربية .
- أبحث عن دار معروفة .
- ربما سأختار (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) .
- أوافقك على الفكرة ، إنها جهة تمتلك صيتاً وتاريخاً طويلاً .

عشنا لحظة سعيدة تكللت بفراش دافئ ، كأننا في ليلة عرس . . !!

***

كنت جالساً على مأدبة الفطور لحظة هاتفني صاحب النقليات ، أعلمني بوصول طرد بريدي لي ، لم أضع فرصة واحدة ، ركبت مركبتي وانطلقت إلى مكتب النقليات ، عند الظهيرة وجدته ينتظرني ، كافأته على انتظاره بدجاجة محمرة . . قلت له :

– أريدك أن تحتفل اليوم معي بين أطفالك .

– أستاذ أنت تغرقني بكرمك .

حملت الصندوق وعدت ، وجدت الأصدقاء يهرعون إلي ، الكل يرغب أن يقرأ ما أكتبه ، وزعت النسخ على بعض الأصدقاء ، وأبقيت البقية بغية توزيعها على أدباء سألتقي بهم في المهرجانات ومناسبات أخر ، للحق أقول رغبت أن أقرأ الرواية مطبوعة خلاف مزاجي ، لم أكن أرغب في مراجعة رواية أو كتاب قصصي سبق أن طبعت لي ، لا أعرف لماذا هذا المزاج ، ربما لأن الحكايات متشربة في دمي ، لكن رواية (حكايتي مع رأس مقطوع) وجدتها تجذبني ، تغريني لقراءتها ، تفاعلت معها وأنا أستعيد (الرأس المقطوع) وساعات المتعة المرعبة التي عشتها معه .

في اليوم التالي أخذت عائلتي في جولة سياحية نحو الشمال ، كنا سعداء بالرواية والنجاح الذي لازمني لتكملتها خلاف الكثير من الروايات نصف المنجزة ، بعد يومين عدنا ، واضعاً في البال روايتي (فواكه قلبي) ، وربما روايتي (النشيد الأخير للقلب) *أو الروايات الأخر ، في حماسة منقطعة النظير لتكملتها ، لكن الذي وضع حاجزاً نفسياً مدمراً أمامي ، خبر غير سار لكل أديب ينتهج منهج نقل الحقائق ، جاءني أخي . . قال :

– يوم أمس جاءت مفرزة شرطة تسأل عنك .

– شرطة وما علاقتي بهم أو علاقتهم بي .

– لم يضيفوا شيئاً ، قالوا نريد أستاذ سالم ، السيد المدير يريده .

تساءلت إن كان شرطياً مختلفاً ، ربما يمتلك ثقافة ويريد نسخة من كتابي ، خلد ذهني على هذه الفكرة ، وفي اليوم التالي وجدت نفسي أمام مركبة حوضية ، ساقوني إلى المدير ، وجدته شاباً متحمساً ، يمتلك نظرات قلقة ، يبدو لي أنه لعوب ، غير مؤتمن الجانب ، لا يصلح لهذه المهنة ، كون المهنة تطلب نفراً يمتلك شجاعة في يومنا هذا ، أشار لي بالجلوس ، جلست ، فجأة رفع صورة شخصية لجسد شاب (مقطوع الرأس) . . صاح بصوت قلق :

– ما اسمه . . ؟؟

– ومن هذا . . ؟؟

- تعرفه . . !!
- وهل تعرفني كي تسألني سؤالاً بليداً .

رفع روايتي (حكايتي مع رأس مــقطوع) من درج الطاولة وعرضها أمامي كوثيقة إدانة . . قال :

- هنا اعترافاتك الكاملة .
- لكنها رواية من بنات الخيال .
- قل لي أين دفنته .
- داخل الرواية . . !!
- أنا لا أمـزح مـعك ، أنت روائي البلدة ، يمكنني أن أقف معك ، نحن نبحث عن هذا الرأس منذ أيام .
- وما النفع من (رأس مقطوع) .
- والده رصد مبلغاً مالياً كبيراً لمن يأتيه برأس ابنه .
- هنا بيت القصيد إذاً . . !!
- هل دفنته في المقبرة .
- يمكنكم التحقق من ذلك .

أعد المركبة وأمرني بمرافقته ، وصلنا المقبرة في تمام الساعة الحادية عشرة ، انتشر رجال الشرطة بحثاً عن قبر متواضع أو حفرة فيها كومة تراب حديثة الحفر ، مشيت وتبعني الضابط ومرافقوه ، وقفت على قبر غير مكتمل . . قلت :

- هذا القبر حفرناه لوالدي .
- لكنه متروك .
- في الرواية افترضت دفن الرأس هنا .

- أنت تمزح معنا .
- أنا جاد سواء في كتابتي أو في كلامي .
- أين هو . . ؟؟
- ألم أقل لكم الحكاية كلها عبارة عن رواية متخيلة .
- لكن هناك معلومات تؤكد أن (الرأس المقطوع) تم رميه في زقاقكم .
- أرجوك لنكف عن هذه اللعبة ، ربما هناك مصادفة بين روايتي وحكاية الرأس المزعوم .
- أية لعبة هناك جائزة ممكن أن نتقاسمها بيننا .
- لو سمعت هذا من قبل لربما أضفته مقطعاً للرواية ، أرجو أن تقرأ الرواية بتمعن ، الشاب الذي كتبت عن رأسه كان والده ميتاً .
- ربما أنت أمته في روايتك لغاية فنّية ، لكنه واقعيٌّ حي يرزق ، أعلن من خلال مكبرات المساجد ومن خلال شاشة تلفاز (جلبلاء) أنّه رصد مبلغاً خيالياً من ماله لإعادة رأس ابنه .
- حضرة الضابط ، هذا الموضوع لا يشكل لدي هاجساً ، لننهي هذا النقاش ، أنا مرهق ، حالتي الصحية ليست على ما يرام ، لدي حكايات تزدحم بها ذاكرتي ؛ لأنها تطلب استحقاقاتها .
- ومن قال إننا سنتركك على هواك ما لم نتأكد من الموضوع بشكل حاسم .

– ليس بوسعكم اتخاذ أي إجراء ضد رواية كتبت من وحي الخيال .

– لدينا الدليل الكامل عبر روايتك ، ولدينا صورة شاب (مقطوع الرأس) ، ولدينا قصاصات ورقية تم إلقاؤها في السوق تؤكد أن الفئة التي قامت بقطعه ، ألقته في زقاقكم .

– حسناً وهل سمعت يوماً أن (رأساً مقطوعاً) يتكلم .

– لا يهمنا هذا الموضوع ، كل ما جاء في الرواية لسان حالك تجاه الواقع ، نحن نريد الرأس ، تقول في روايتك ، بأنك قمت بنقله إلى غرفتك ، وبعد موته نقلته إلى المقبرة مع موكب تشييع كي لا يراك أحد ، أما مسألة الحوار بينك وبينه مجرد خيال محض لا نعول عليه .

– وهل وجدتم مسألة التشييع حالة واقعية .

– من خلال تحرياتنا وجدنا أنك قمت بتمرير كذبة داخل روايتك ، الصلاة على جنازة رجل كان تمويهاً من قبلك ربما للتغطية على جريرتك .

– وهل كانت حالة قطع رأسه في روايتي مشابهة للمعلومات لديكم .

– هناك اختلاف واضح ، أنت تقول الشاب كان يتسكع لتحرير جسده من طوفان شهوته ، وجدته فئة مسلحة وقطعت رأسه بداعي التلصص وكونه يشبهك ، أما المعلومات الواردة لدينا تقول إن الشاب كان خارج البلدة ، تعرضت مركبتهم إلى عملية خطف بعدما عرفوه ابن غني البلدة وقطعوا رأسه كون

والده رفض إعطاءهم المال الذي طلبوه .

– أليس هذا دليلاً على أنني بنيت روايتي على الخيال .

– نحن معك ، قمنا بإزاحة كمية الخيال من الرواية وتوصلنا إلى خلاصة نافعة ، أنك تمتلك ما نريد من معلومات حول مصيره .

– ورد لعلمي معلومات أن الرأس الذي تبحث عنه يعود لشاب يختلف عن الذي ورد في روايتي .

– نعم شابك كان شاذاً وشابنا كان ابن عائلة ميسورة .

– أعتقد حضرة الضابط أنك تريد خلط الأمور ، روايتي مجرد حكاية كتبتها دفاعاً عن الواقع الأليم الذي تعيشه بلدتنا العزيزة (جلبلاء) .

– حسناً . . سنتابع الموضوع ، وربما لدينا كلام آخر ، يمكننا أن نعود .

عدنا ، أمام بناية إدارة البلدة وقف الضابط يتأملني ، كنت مرهقاً ، لم أرغب بالكلام ، مد يده يطلب يدي في مصافحة ، تلكأت في البدء ، لكن تواضعي حضر فوراً وأجبرني على مصافحة أول ضابط شرطة يمر بالبلدة ، ضغط على كفي . . قال :

– أستاذ سالم ، قرأت روايتك بمتعة ، إنه أولّ كتاب أقرأه لك ، حبذا لو أرسلت لي كتبك الأخر .

– ربما ستجد تهماً أخرى جاهزة لاعتقالي .

– لا يجوز اعتقال الكلام الصريح في حياتنا الجديدة .

في تلك اللحظة نزت من موقي دمعتان ، جذبني واحتضنني بعنف . . قلت بحشرجة :

– لن تموت بلاد فيها سلطة تحترم الكلام الأدبي الصريح .

– الظروف تضغط علينا ، لم نعد نمتلك فرصة واحدة لإشاعة الحرية والثقافة .

لم أعد أمتلك كلاماً ، كانت الدموع تنحدر ، مسحها من عيني بكفيه . . أضاف :

– يمكنك الذهاب ، لا تنسَ أن ترسل كتبك لي .

استدرت وبدأت أسلك طريق العودة ، وجدت على جانبي الشارع الرئيس للبلدة الناس يقفون كأنهم في انتظار حدث أو زائر كبير ، بعضهم راح يبتسم بوجهي ، البعض راح يحييني بكفيه ، لمحت من بين الجموع المحتشدة ، غلاف روايتي (حكايتي مع رأس مقطوع) تتسع لتشمل المدى ، وصلت البيت ، كانت زوجتي خائفة ، هرعت واحتضنتني ، بكيت معها . . قالت :

– أراك تبكي . . !!

تخلصت من دموعي ، سحبت نفسي وصحت :

– اليوم بدأت معالم الحرية تولد في بلدتنا (جلبلاء) . . !!

دخلنا البيت ، وجدت طفلتي الصغيرة تضم رأسها بين كفيها ، غاضبة من شيء ما . . قلت :

– ما بها صغيرتنا .

صاحت زوجتي :

– آه تذكرت ، قل لي يا (سالم) ، أين رأس الدمية .

– رأس الدمية . . !!

ألقيت نظرة إلى زاوية الصالة ، وجدت جسد الدمية شامخاً كعادته ، لكنه بلا رأس ، فقدت صلتي بالأشياء ، كانت عيون زوجتي تمتلئ بالنيران ، تفاقم تعبي ، لم أمتلك وسيلة أخرى ، صعدت إلى غرفتي ركضاً ، بينما زوجتي بدأت تصرخ :

– أين أخذت رأس الدمية يا سالم . . !!

***

إشارة:

هذه العناوين وردت ضمن سياق الرواية ، تعود للكاتب .

١ـ قـفل قلبي (رواية) صـدرت عن دار فـضـاءات ـ عـمّـان ـ ٢٠١١ .

٢ـ مـزرعـة الرؤوس (قـصـة قـصـيـرة) نالت المرتبـة الأولى في مسابقة ـ مركز النور ـ السويد ـ الدورة الثانية ـ ٢٠٠٨ـ دورة الشاعر عيسى حسن الياسري .

٣ـ مزبلة الرؤوس البشرية (قصة قصيرة) .

٤ـ بعل الغـجـرية (رواية) صـدرت عن دار كلمـة ـ مـصـر ـ ٢٠١٠ .

٥ـ فواكه قلبي (رواية) ، مخطوط .

٦ـ النشيد الأخير للقلب (رواية) ، مخطوط .

تحسين كرمياني

- تولد : ١٩٥٩ ـ جلولاء ـ ديالى ـ العراق .
- قاص وروائي وكاتب مسرحي ومقال .
- عضو اتحاد الأدباء والكتّاب/العراق منذ ١٩٩٥ .

كتب صدرت:

(١) هواجس بلا مرافئ ، (مجوعة قصصية) ، دار الشؤون الثقافية العامة : ٢٠٠١ .

(٢) ثغرها على منديل (مجموعة قصصية) ط ١ ـ دار ناجي نعمان ـ لبنان ـ ٢٠٠٨ .

(٣) بينما نحن . . بينما هم (مجموعة قصصية) ط ١ ـ دار الينابيع ـ دمشق ـ ٢٠١٠ .

(٤) الحزن الوسيم (رواية) ، دار الينابيع ـ دمشق ـ ٢٠١٠ .

(٥) بعل الغجرية (رواية) ، دار ـ الكلمة ـ مصر ـ ٢٠١٠ .

(٦) بقايا غبار (مجموعة قصصية) ، دار رند ـ دمشق ـ ٢٠١٠ .

(٧) قفل قلبي (رواية) ، دار فضاءات ـ عمّان ـ ٢٠١١ .

(٨) خوذة العريف غضبان (خمس مسرحيات) ، دار ـ رند ـ دمشق – ٢٠١١ .

(٩) من أجل صورة زفاف (مسرحيتان) ، دار رند ـ دمشق ـ ٢٠١١ .

(١٠) أولاد اليهودية (رواية) ، دار ـ رند ـ دمشق ـ ٢٠١١ .

(١١) ليسوا رجالاً (مجموعة قصصية) ، دار ـ رند ـ ٢٠١١ .
(١٢) البحث عن هم (مسرحية) ، دار رند ـ دمشق ـ ٢٠١١ .
(١٣) بينما نحن بينما هم وثغرها على منديل (مجموعتان) طبعة ثانية – دار رند– دمشق ٢٠١١ .
(١٤) امرأة الكاتب (مقالات ودراسات أدبية) دار رند – دمشق – ٢٠١١ .

جوائز :

* المرتبة الثالثة عام ١٩٩١ عن قصة (كرنفال للشهيد) .
* المرتبة الأولى عام ٢٠٠٣ عن قصة (يوم اغتالوا الجسر) .
* جائزة الإبداع عن المجموعة القصصية (ثغرها على منديل) ، ضمن مسابقة ناجي نعمان الثقافية الدورة الخامسة ٢٠٠٧ لبنان .
* المرتبة الأولى عام ٢٠٠٨ عن قصة (مزرعة الرؤوس) في مسابقة (مركز النور – السويد) .
* المرتبة الثانية عام ٢٠١١ عن رواية (أولاد اليهودية) ، في مسابقة مؤسسة الكلمة ـ مصر ـ مسابقة نجيب محفوظ للقصة والرواية ـ الدورة الثانية ـ ٢٠١٠ .

[. . عضو فخري في مؤسسة ناجي نعمان/لبنان/]